التعليقة السنية على القريدة البهية

للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه
حفظه الله تعالى

دار أبي حنيفة

Scanned by CamScanner

التعليقة السنّية

على القريدة البهية

Scanned by CamScanner

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار أبي حنيفة

للنشر والتوزيع

اليمن - الحديدة

e-mail: daroabihanifah@gmail.com

يطلب من

السيد عمار / ٧٣٤٥٩٧٨٩٦

لؤي الحنفي / ٧٧٧ ٠٢٤٣ ٢٠

Scanned by CamScanner

التعليقة السنية

على الخريدة البهية

للشيخ العلامة

محمد بن أحمد عاموه

حفظه الله تعالى

Scanned by CamScanner

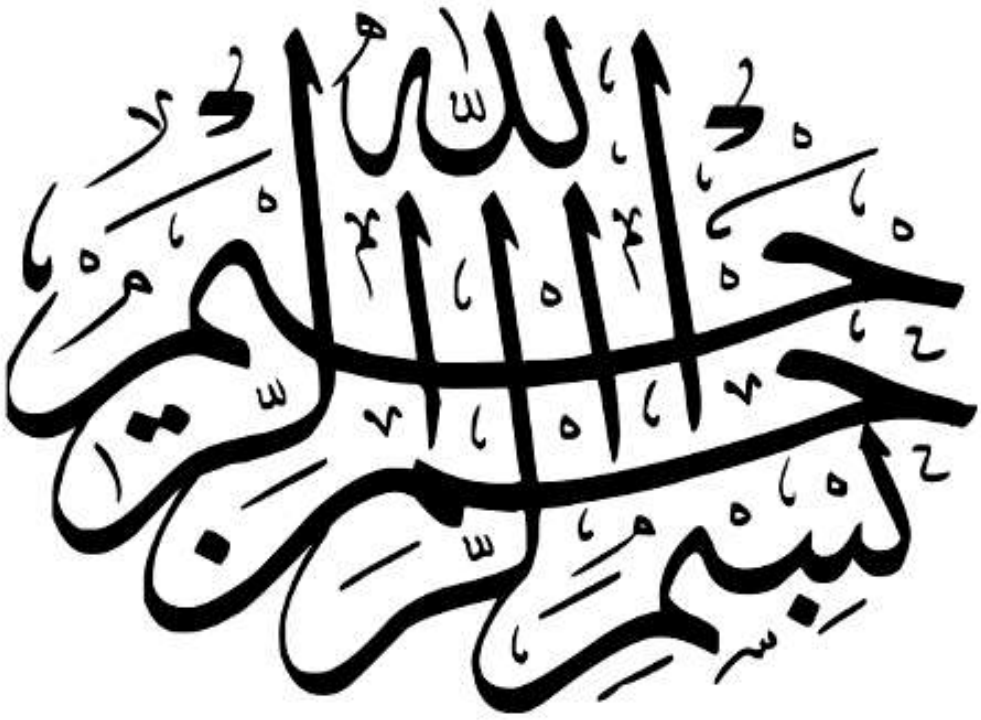

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه **التعليقة السنية على الخريدة البهية** للإمام الدردير في علم التوحيد كتبتها بعبارة سهلة واضحة لتكون مقرراً لإخواني طلبة العلم الشرعي الشريف بجامع دحمان كبير بالدورة الشرعية الثالثة لعام ١٤٣٤هـ والله أسأل أن يكتب لها القبول بمنه وكرمه إنه أعظم مأمول وأكرم مسئول آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

Scanned by CamScanner

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه ولقبه:

هو الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي العمري الشهير بأحمد الدردير.

لقب بالعمري؛ لأن نسبه ينتهي إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

والخلوتي؛ نسبة إلى الطريقة الخلوتية.

والأزهري؛ نسبة إلى الأزهر الشريف.

والمالكي؛ نسبة لمذهب الإمام مالك.

والعدوي؛ نسبة لقريته التي ولد فيها والتي يسكنها قبيلة بني عدي القرشية في أسيوط بصعيد مصر.

وتلقب بالدردير لأن رجلاً مباركاً من أهل الصلاح والفضل والعلم نزل في بني عدي يدعى الدردير فلُقِّب جد الناظم أحمد به تفاؤلاً.

ولادته ونشأته:

ولد رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائة وألف للهجرة حفظ القرآن الكريم وجوّده وحُبِّب إليه طلب العلم فقدم الجامع الأزهر وأخذ عن علماء الأزهر الكبار.

شيوخه:

أخذ العلامة الدردير عن جملة من الأكابر منهم:

١- الشيخ محمد الدفراوي سمع منه المسلسل بالأولية بشرطه.

٢- العلامة أحمد الصباغ أخذ عنه علوم الحديث.

Scanned by CamScanner

٣- العلامة الإمام علي الصعيدي العدوي قرأ عليه الفقه ولازمه وبه تخرج وعليه تفقه.
٤- الإمام العلامة شمس الدين الحفني أخذ عنه التصوف وعلومه وبه تخرج في طريق القوم وعنه أخذ الطريقة الخلوتية وتلقن الذكر وصار من أكبر خلفائه.
٥- ٦- كما حضر العلامة الدردير دروس العلامتين الملوي والجوهري وغيرهما.

تلاميذه:

تتلمذ للإمام الدردير خلق كثير منهم:
١- العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.
٢- العلامة المحقق أبو الخيرات مصطفى العقباوي الذي أكمل شرح أقرب المسالك.
٣- العلامة الإمام المحقق العارف بالله أبو العباس أحمد الصاوي.
٤- العلامة الشيخ أبو الفلاح صالح بن محمد بن صالح السباعي.
٥- العلامة الشيخ أبو الربيع سليمان بن محمد الفيومي.

كرامات الشيخ ومناقبه:

كان الإمام الدردير أحد أولياء الله الصالحين لُقِّب بشيخ أهل الإسلام وبركة الأنام وقد كان صوفياً سنياً زاهداً مالكي المذهب خلوتي المشرب قوّالاً للحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر وكان رحمه الله مجاب

Scanned by CamScanner

الدعوة بسبب تحريه أكل الحلال وبعده عن الشبهة فضلاً عن الحرام وقصصه في هذا الباب كثيرة منها:

أن بعض الولاة أجبر الناس في عمل من أعماله وأغلق أبواب القلعة فذهب الإمام الدردير مع الناس ووقف أمام الباب ودعا وأمّن الناس فوقعت الأغلاق وانفتح الباب ببركة دعاء الشيخ الدردير رحمه الله.

ومما اشتهر عن الإمام الدردير أن أحد الولاة العثمانيين حرص فور تعيينه والياً لمصر أن تكون زيارته الأولى للأزهر الشريف لعلمه بمكانة الأزهر ومكانة علمائه فلما دخل الأزهر رأى الإمام الدردير جالساً مادّاً قدميه وهو يقرأ ورده من القرآن فغضب الوالي إذ لم يقم الإمام الدردير لاستقباله والترحيب به فعمد الوالي إلى إرسال صرة من المال إلى الإمام الدردير فرده الإمام الدردير وقال لرسول الوالي قل لسيدك: (من مدّ رجليه فلا يمكن له أن يمدّ يديه) فرحم الله الإمام الدردير فقد كان قدوة في الحال والمقال.

ومن شعره رحمه الله:

من عاشر الأنام فليلتزم سماحة النفس وترك اللجاج
وليحذر المعوج من أخلاقهم أي طريق ليس فيه اعوجاج

Scanned by CamScanner

وفاته:

انتقل أبو البركات أحمد الدردير إلى جوار ربه في السادس من شهر ربيع الأول سنة واحد ومئتين وألف هجرية رحمه الله رحمة الأبرار.

مؤلفاته:

ترك الإمام الدردير مؤلفات قيّمة منها:

١- شرح مختصر خليل الذي هو عمدة الفقه المالكي أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال.

٢- أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك وكتب عليه الشرح الصغير وصل فيه إلى باب الجناية وأكمله تلميذه مصطفى العقباوي وهذا الشرح معتمد المالكية في الفتوى واعتمده الشيوخ للتدريس لاشتماله على مشهور المذهب ولذكره المعتمد عند المالكية.

٣- تحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف.

٤- شرح على ورد الأذكار للشيخ كرم الدين الخلوتي.

٥- المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق.

٦- التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى.

Scanned by CamScanner

٧- رسالة في المولد النبوي الشريف.
٨- رسالة أفرد فيها طرق حفص في القراءات.
٩- رسالة في المعاني والبيان.
١٠- رسالة في الاستعارات الثلاث.
١١- نظم الخريدة البهية في العقيدة السُّنية.

وقد كتب الله عز وجل لمنظومة الخريدة القبول فأصبحت من المقررات الدراسية فما زالت تدرس بالأزهر الشريف إلى يومنا هذا وقد شرحها الناظم نفسه وحشّى عليه الإمام السباعي والإمام الصاوي والإمام محمد بخيت المطيعي الحنفي رحمة الله عليهم جميعاً ومنها استفدت.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم(١)

١. يقول راجي رحمة القدير أي أحمد المشهور بالدردير

شرح البيت رقم (١):

[يقول راجي رحمة القدير] معناها: يقول المؤمل المنتظر إنعام القدير جل جلاله. قوله [أي] حرف تفسير وبيان لراجي فما بعد أي عطف بيان [أحمد] اسم الناظم بن محمد بن أحمد [المشهور] أي الذي اشتهر بلقب جده [الدردير] بفتح الدال الأولى وكسر الثانية بينهما راء ساكنة وكذا اشتهر أولاد الجد كلهم بهذا اللقب وقد تقدمت ترجمة الناظم وإنما ذكر الناظم اسمه على عادة جمهور المؤلفين في تسميتهم أنفسهم في أوائل كتبهم ليرغب الطالب في الكتاب لأن الكتاب المجهول صاحبه غير مرغوب فيه ولا موثوق به ولا معوّل عليه.

٢. الحمد لله العلي الواحد العالم الفرد الغني الماجد

شرح البيت رقم (٢):

[الحمد] الثناء كله مستحق [لله] عز وجل [العلي] المنزّه عن كل نقص [الواحد] في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له [العالم] بكل شيء

---

(١) افتتح الناظم منظومته بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل واتباعاً لهدي النبي ﷺ في افتتاحه الكتب والرسائل بها ورجاء لحصول بركة البسملة.

Scanned by CamScanner

[الفرد] أي الواحد ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً [الغني] غنىً مطلقاً فلا يحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء [الماجد] قيل معناه الكريم الواسع العطاء وقيل الشريف العظيم.

٣. وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم
٤. وآله وصحبه الأطهار لا سيما رفيقه في الغار

شرح البيتين رقمي (٣- ٤):

لما فرغ الناظم من حمد الله عز وجل شكراً للنعمة شرع في الصلاة والسلام على أفضل الخلق فقال [وأفضل] أي أتم [الصلاة والتسليم على النبي] المعهود عند الإطلاق وهو سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ﷺ [المصطفى] اسم مفعول من الاصطفاء وهو الاختيار فمعناه المختار [الكريم] أي طيب الأصل شريف النسب ﷺ روى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**».

وروى الترمذي عن العباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ثم تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً**».

Scanned by CamScanner

والصلاة والسلام أيضاً على [آله] أي النبي وهم في مقام الدعاء أتباعه مطلقاً [وصحبه] اسم جمع لصاحب بمعنى صحابي وهو من اجتمع به ﷺ مؤمناً ومات على إيمانه [الأطهار] بمعنى المطهرين من دنس المعاصي والمخالفات [لا سيما] أي خصوصاً [رفيقه في الغار] يوم الهجرة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

٥. وهذه عقيدة سَنيةْ سميتها الخريدة البهيةْ

٦. لطيفة صغيرة في الحجم لكنها كبيرة في العلم

٧. تكفيك علماً إن ترد أن تكتفي لأنها بزبدة الفن تفي

شرح الأبيات رقم (٥، ٦، ٧):

[وهذه] أي المنظومة [عقيدة] أي معتقدة فهي فعيلة بمعنى مفعولة [سنيةٌ] نسبة إلى السنا بالقصر وهو النور يعني أنها واضحة الدلالة على معانيها [سميتها] أي هذه المنظومة [الخريدة] هي في الأصل اللؤلؤة التي لم تثقب [البهيه] نعت لخريدة والبهاء الضياء والحسن والجمال وهذه المنظومة [لطيفة] من اللطف وهو ضد الكثافة من لطف ككرم دق أو رق فاللطيف الصغير الحجم وعلى هذا فقول الناظم [صغيرة في الحجم] وصف كاشف لمعنى لطيفة ولما كان وصف المنظومة بصغر حجمها يوهم أنها قليلة العلم استدرك الناظم ورفع هذا التوهم ودفعه بقوله [لكنها] مع صغر حجمها وقلة عدد أبياتها إذ هي مشتملة على واحد

Scanned by CamScanner

وسبعين بيتاً لكنها مع هذا [كبيرة] أي عظيمة [في العلم] لاشتمالها على بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز وعلى مثل ذلك في حق الرسل وعلى الأدلة والبراهين القطعية الواضحة التي يخرج بها المكلف من ربقة التقليد إلى نور التحقيق ولما كانت هذه المنظومة على الوصف الذي شرحناه قال الناظم [تكفيك علماً] أي يكفيك العلم المستفاد منها في دينك [إن ترد أن تكتفي] بدراسة هذه المنظومة المباركة عن غيرها من المطولات وذلك [لأنها] أي هذه المنظومة [بزبدة] أي بخلاصة [الفن] المؤلفة فيه وهو علم العقائد ويسمى علم التوحيد وعلم أصول الدين [تفي] أي توفي بتعليمك خلاصة علم العقائد الذي هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية.

٨. والله أرجو في قبول العمل والنفع منها ثم غفر الزلل

شرح البيت رقم (٨):

[والله أرجو] قدم الاسم الأعظم لإفادة الاختصاص إذ تقديم المعمول يفيد ذلك أي لا أرجو إلا الله تعالى وحده لا شريك له. والرجاء: تعلق القلب بحصول مرغوب فيه في المستقبل مع الأخذ في الأسباب وهو ممدوح شرعاً فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع وهو مذموم شرعاً. والله أرجو [في قبول العمل] الذي منه تأليف هذه المنظومة المباركة في علم التوحيد وقبول الله للعمل معناه رضاه به وإثابته عليه [و] أرجوه تعالى [النفع] وهو ضد الضر. والنفع: إيصال الخير للغير.

Scanned by CamScanner

والضر: إيصال الشر للغير. [منها] أي من هذه العقيدة أي بها.

والمعنى أرجو الله تعالى أن ينفع بهذه المنظومة كل من قرأها أو درسها وتعلمها أو حفظها أو طالعها أو حصلها أو تملكها أو كتبها والمؤلف كان صالحاً مجاب الدعوة فنرجوا الله أن تعمنا بركة دعوة الناظم رحمه الله [ثم] أي وأرجوه تعالى [غفر] أي ستر [الزلل] جمع زلة بالفتح مصدر زّل بفتح الزاي أيضاً يزِّل بكسرها يعني المعاصي وسترها صادق بمحوها من الصحف وبعدم المؤاخذة بها وإن كانت موجودة في الصحف وورد في السنة ما يدل على المعنيين ففي الحديث «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح.

وفي الحديث الآخر «**إن الله تعالى يضع كنفه على عبده يوم القيامة ويخبره بجميع ما وقع منه ثم يقول له هذه ذنوبك سترتها عليك والآن أغفرها لك**» رواه أحمد بإسناد صحيح.

والمرجو من سعة كرمه تعالى الأول لما في الثاني من صعوبة الوقوف بين يدي الله عز وجل وذكر المساوئ له وهو هول عظيم نسأل الله العافية والسلامة إنَّ ربنا رحيم غفور ودود كريم سبحانه وتعالى.

Scanned by CamScanner

أقسام الحكم العقلي

اعلم يرحمني ويرحمك الله عز وجل أن الأصل اللغوي للحكم: هو المنع والإحكام والربط. ولا يتأتى ذلك إلا بنسبة أمر إلى أمر أو نفيه عنه فإذا حكمت فإنك تنسب إلى المحكوم عليه أمراً أو تنفيه عنه.

ولذلك عرفوا الحكم اصطلاحاً بقولهم: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه. وقد استقرأ علماء الإسلام مصادر الحكم مطلقاً فوجدوها ثلاثة:

أ- العقل: فالقضايا التي يكون مستند الحكم فيها العقل تسمى أحكاماً عقلية مثل قولنا: إن البعض أقل من الكل وإن الحادث لابد أن يكون محتاجاً وإن كل مسبّب لابد أن يكون له سبب.

فالحكم العقلي: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا استناد إلى شرع.

ب- العادة: فالقضايا التي يكون مستند الحكم فيها العادة تسمى أحكاماً عادية.

فالحكم العادي: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرر أي توارد الشيء على الحسّ.

فالحكم العادي مستمد من تكرار الحسّ وتوارد الأمر على الحسّ أكثر من مرة فهو مشتق من العادة التي هي التجربة وهي أن يلاحظ الإنسان اقتران شيئين مع بعضهما أو ترتب شيء على شيء أو اندراج شيء في شيء إذا لاحظ الإنسان هذا عن طريق الحسّ فهذا الحكم المستمد من الملاحظة مع التكرار يسمى حكماً عادياً أي هو مأخوذ من

Scanned by CamScanner

طريق العادة فقط وليس حكماً شرعياً ولا عقلياً ومثال هذا الإحراق بالنار عرفنا هذا عن طريق العادة.

إذا رأى إنسان النار لأول مرة هل يمكن أن يعرف عن طريق رؤيتها أنها حارقة؟ الجواب: لا. والدليل على هذا الطفل الصغير الذي يضع يده على النار أكثر من مرة يتكشف أنها حارقة.

واعلم أن غاية ما يمكن أن تدل عليه العادة هو الربط بين أمرين أما تعيين فاعل ذلك أو المؤثر في ذلك فليس للعادة فيه مدخل ولا منها يتلقى علم ذلك كما قاله الإمام السنوسي رحمه الله.

فغاية ما تد لنا عليه العادة والتجربة والتكرار هو التلازم فقط إذ التأثير والخلق والإيجاد لا دلالة للعادة عليه أصلاً فلا يجوز أن يقول الإنسان أنا أعرف أن النار تؤثر لأني أشاهد هذا.

هذا الاستنتاج غلط لأن المشاهدة تدل على التلازم فقط ولا تدل على الخلق والفعل أي التأثير بل الدليل على الخلق والفعل والتأثير والإيجاد هو العقل لا العادة.

ج- الشرع: فالقضايا التي يكون مستند الحكم فيها الشرع تسمى أحكاماً شرعية.

والحكم الشرعي: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

والمراد بالاقتضاء الطلب: وهو إما طلب فعل جازم: فالإيجاب.

Scanned by CamScanner

أو طلب فعل غير جازم: فالندبية.
أو طلب كف جازم: فالتحريم.
أو طلب كف غير جازم: فالكراهة.
والتخيير: الإباحة.
والوضع: جعل الشيء شرطاً أو مانعاً أو سبباً.
ولما كانت مصادر الحكم تتعدد كان معنى الحكم عند كل مصدر مختلفاً عن الآخر من بعض الجهات فالحكم بالوجوب مثلاً قد يكون من جهة الشرع وقد يكون من جهة العادة وقد يكون من جهة العقل.

فالواجب الشرعي معناه: ما أمر به الشرع أمراً جازماً بحيث يترتب العقاب على تركه والثواب على فعله والواجب بهذا المعنى لا يمكن استمداده إلا من الشرع المنزل من عند الله عز وجل.

والواجب عادة مثل دوران الكرة الأرضية حول الشمس من جهة الغرب إلى جهة الشرق هذا واجب عادة لا عقلاً ولا شرعاً أما أنه ليس بواجب شرعاً فلأنه لم يقع التكليف به بالمعنى المعروف للتكليف وأما أنه ليس بواجب عقلاً فلأنه لا يوجد مانع في حكم العقل من أن تدور الكرة الأرضية من الشرق إلى الغرب بعكس ما هو حاصل الآن ولو كان دورانها الحاصل الآن واجباً عقلاً لما أمكن تعقل خلافه والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ

Scanned by CamScanner

وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فأنت ترىٰ كيف جادل سيدنا إبراهيم عليه السلام النمروذ فتحداه بأن يأتي بالشمس من المغرب ولو كان الإتيان بالشمس من المغرب مستحيلاً عقلاً لما جاز له هذا التحدي لجواز أن يقابله النمروذ بنفس هذه الحجة ويقول له فادع ربك أن يأتي بها من المغرب ولكن لما كان ذلك جائزاً عقلاً قامت الحجة علىٰ النمروذ وبُهت أي أفحم أشدّ الإفحام وذلك لأنه يعلم أن من صفات الإله أن يكون قادراً علىٰ كل ممكن ولما بيّن له إبراهيم عليه السلام أن هذا ممكن ولكنه لا يمكنه فعله تبين أن النمروذ ليس بإله ولا برب لعجزه والرب لا يكون عاجزاً بل قادراً.

والواجب عقلاً: هو الأمر الذي لا يقبل الانتفاء في ذاته فقولنا الواحد أقل من الاثنين لا يمكن انقلابه أو فرض عدمه فهذا أمر واجب التصديق به ولا يمكن للعقل أن يفرض خلافه فكل أمر لم يقبل في ذاته الانتفاء فهو واجب ومن الواجبات العقلية كون الجزء أقل من الكل وكون المعلول محتاجاً إلىٰ علته وكون الحادث لا بد له من محدث.

ونحن في هذا المحل لا نحتاج الكلام إلىٰ الحكم الشرعي ولا إلىٰ الحكم العادي وإنما ذكرناهما للتمهيد وزيادة الفائدة والمحتاج إليه هنا الحكم العقلي لأننا في مقام الاستدلال علىٰ أصول الشرائع أي أننا في مقام الاستدلال علىٰ من أنزل الشريعة فلهذا يجب أن نعتمد علىٰ أمر ثابت في

Scanned by CamScanner

نفسه قبل نزول الشرائع لأن الحكم الشرعي ثابت بثبوت الشريعة وثبوت الشريعة متوقف على إثبات منزل الشريعة فنحتاج إلى الحكم العقلي لإثبات منزل الشريعة لأنه أمر ثابت في نفسه قبل نزول الشرائع، وإنما لم نحتج هنا لحكم العادة لجواز تغيرها ونعتمد حكم العادة في صدق الأنبياء لأن المعجزة دليل صدق الأنبياء وهي خرق للعادة فيكون تغير العادة دليل صدق الأنبياء.

أما هنا في مقام الاستدلال على منزل الشريعة فنحتاج الحكم العقلي ولذلك بدأ المصنف بذكره وقدمه لأهميته والاحتياج إليه فيما نحن بصدده والله أعلم.

٩. أقسام حكم العقل لا محالةْ هي الوجوب ثم الاستحالةْ
١٠. ثم الجواز ثالث الأقسام فافهم منحت لذة الأفهام

شرح البيتين رقمي (٩، ١٠):

[أقسام حكم العقل] ثلاثة [لا محالة] أي لا انفكاك ولا تحول عن كونها ثلاثة يعني أنها ثلاثة لا أقل ولا أكثر [هي]:

١. [الوجوب] وهو مصدر من وجب يجب وجوباً وجبة – بكسر الجيم وفتح الباء – والأصل في معناه لغة: هو الثبات واللزوم.

واصطلاحاً الواجب: هو الثابت الذي لا يتغير من حيث هو واجب واللازم هيئة معينة لا يتحول عنها فلا تنتفي عنه ولا ينتفي عنها

Scanned by CamScanner

وسيأتي بسطه قريباً.

٢. [الاستحالة] ومعناها: الامتناع إذ الحائل هو المانع بين الشيئين ومن هنا اصطلح العلماء على تسمية الأمر الذي لا يمكن أن يوجد في الخارج من الذهن أي في العالم الخارجي بالمستحيل أي الذي يمتنع وجوده هذا ما يتعلق باللغة وسيأتي المعنى الاصطلاحي قريباً.

٣. [الجواز] والمعاني اللغوية لكلمة جاز ومشتقاتها تدل على التحول من حال إلى حال وعدم الثبوت على مقام وتدل على الانتقال ومن هنا سمّى العلماء الأمر الذي يمكن وجوده كما يمكن عدمه بالجائز بمعنى الذي يجوز فيه وعليه التحول من حال إلى حال وسيأتي قريباً معناه الاصطلاحي.

ومن هذا تعلم أن كل ما حكم به العقل من إثبات أو نفي لا يخرج عن اتصافه بواحد من الثلاثة المذكورة أعلاه وهي الوجوب والاستحالة والجواز.

ولما كان الحكم العقلي لا يخرج عن اتصافه بها جعلوها أقساماً له تجوّزاً [فافهم] أي اعرف هذه الأقسام الثلاثة حق معرفتها لأن على معرفتها مدار الإيمان بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام [منحت] أي أعطيت أي أعطاك الله [لذة] أي حلاوة [الأفهام] – بفتح الهمزة – جمع فهم: وهو الإدراك أي العلم والمعرفة. فإن من أعطي لذة العلوم والمعارف فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة.

Scanned by CamScanner

١١. وواجب شرعاً على المكلف معرفة الله العلي فاعرف

شرح البيت رقم (١١):

[وواجب شرعاً على المكلف] من الثقلين الإنس والجن. والمكلف: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة. فيجب على هذا المكلف وجوباً شرعياً [معرفة الله] عز وجل [العلي] المنزّه عن كل ما لا يليق بجلاله وقدسه وكماله.

والمعرفة والعلم بمعنى واحد على الصحيح: وهو الإدراك الجازم المطابق للواقع لموجب.

شرح التعريف:

معنى الإدراك بلوغ هذا الشيء وشرط الإدراك أن يكون جازماً غير مضطرب أي غير قابل للتذبذب أو الشك لذلك قال في التعريف الإدراك الجازم ولابد من مطابقة الإدراك الجازم للواقع لأن الإنسان قد يكون مدركاً وجازماً ولكن إدراكه غير مطابق للواقع كمن يعتقد أن البقرة مقدّسة وكمن يعتقد أن العالم قديم فمعتقد ذلك مدرك ومتيقن جازم ولكنه غير مطابق للأمر في نفسه لأن معيار العلم مطابقة العلم لما في الخارج وعليه فمدرك ما لا يطابق الواقع لا يكون عالماً قوله لموجب أي للدليل أي لشيء أوجب عليه هذا الإدراك لا لاختيار منه ولا تقليد فمن أدرك إدراكاً جازماً ومطابقاً من غير استناد لموجب يوجب هذا الإدراك لا يسمى عالماً فلابد في الإدراك الجازم المطابق للواقع من

Scanned by CamScanner

موجب – بكسر الجيم – أي مقتضىٰ من دليل أو حس أو وجدان – الاعتقاد الصحيح – والذي يكفي في المعرفة الدليل الإجمالي اتفاقاً. والدليل الإجمالي: هو المعجوز عن تفصيله وحلّ الشبه عنه كأن يعرف وجوده تعالىٰ بدليل خلقه سبحانه وتعالىٰ للعالم.

واعلم أن معرفة عقائد الإسلام بالدليل الإجمالي فرض عيني علىٰ كل مكلف لا عذر له في تركه فيجب علىٰ جميع من يؤمن بالله عز وجل أن يعرف عقائد الإسلام بأدلتها الإجمالية. أما معرفتها بالأدلة التفصيلية ففرض كفائي.[فاعرف] أي اعرف أن معرفة الله واجبة عليك شرعاً.

فائدة: حكم إيمان المقلد:

التقليد: هو الأخذ بقول الغير من غير حجة. أي الاعتقاد الجازم المتمسك فيه بمجرد قول الغير.

فمن قال مثلاً: إن صلاة الوتر واجبة ولم يستطع أن يأتي بالدليل علىٰ ذلك واكتفىٰ بأن هذا ما قاله الإمام أبو حنيفة ﷺ فهو مقلد. ومن عرف الدليل لا يُسمّىٰ مقلداً.

فإن قلت: غيري هو الذي دلني علىٰ الدليل. قلنا: هذا لا يضر. ومثاله: من رأىٰ هلال الشهر ثم دل غيره علىٰ مكانه في السماء فنظر الغير إلىٰ الهلال وشاهد بنفسه أصبح يتكلم عن مشاهدة لا عن تقليد وهكذا أنت قبل معرفة الدليل مقلد فإذا عرفت الدليل ولو بدلالة غيرك لك عليه وعرفته لا تصير مقلداً لأن من عرف الحجة ليس بمقلد.

Scanned by CamScanner

وكذا في أمور الاعتقاد وقد اختلف العلماء في صحة إيمان المقلد والمعتمد صحة إيمان المقلد ولكن مع صحة إيمان المقلد يجب عليه النظر الموصل للمعرفة فإن لم يأتِ بالنظر فهو عاص ويحاسب على عدم النظر لأن الله تعالى أمر بالنظر والتفكر في المخلوقات ولكن وجوب النظر شرط كمال وليس شرط صحة بمعنى أن الإنسان إذا لم يأتِ به فهو لا يكفر ولكنه يكون عاصياً وأدلة وجوب النظر قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [يونس: ١٠١] وقال تعالى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ * وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ * وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٦].

١٢. أي يعرف الواجب والمحالا مع جائز في حقه تعالى
١٣. ومثل ذا في حق رسْل الله عليهم تحية الإله

شرح البيتين رقمي (١٢- ١٣):

لما كانت معرفة الله تعالى تعني معرفة ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز لا معرفة حقيقة ذاته العلية لعدم إمكان ذلك أي استحالته ولعدم تكليفنا بذلك فسر الناظم المعرفة الواجبة على المكلف شرعاً بقوله [أي] يجب على المكلف شرعاً معرفة الله عز وجل بمعرفة أحكام تتعلق بالله عز وجل هي معرفة ما يجب في حقه تعالى كالوجود

Scanned by CamScanner

والقدم والبقاء والوحدانية ومخالفته تعالى للحوادث كما سيأتي بيانه مكملاً مفصلاً ومعرفة ما يستحيل في حقه تعالى كاستحالة وجود الشريك واستحالة المشابهة للمخلوقات وغير ذلك مما سيأتي مكملاً مفصلاً وما يجوز في حقه تعالى وسيأتي مفصلاً مبيناً فتلخص أن كلام علماء التوحيد يدور حول معرفة الأحكام المتعلقة بالذات الإلهية لا معرفة حقيقة الذات الإلهية لاستحالة معرفة حقيقة الذات الإلهية تعالى الله عز وجل أن يدرك كنه ذاته أحد من المخلوقين ولذلك نحن لم نكلف بمعرفة الذات الإلهية وإنما كلفنا بمعرفة الأحكام المتعلقة بالذات الإلهية بمعرفة الواجب والمحال والجائز في حقه تعالى هذه هي حقيقة المعرفة المأمور بها شرعاً.

وواجب شرعاً على المكلف معرفة [مثل ذا] المذكور من الواجب والمستحيل والجائز [في حق رسل الله] – بسكون السين – للوزن [عليهم] أي الرسل [تحية الإله] تعالى.

فتلخص أنه كما يجب معرفة الأحكام المتعلقة بالإلهيات من معرفة الواجب في حقه تعالى والمحال في حقه تعالى والجائز في حقه تعالى كذلك يجب معرفة الأحكام المتعلقة بالرسل من حيث ما يجب في حقهم وما يجوز وما يستحيل فالاشتراك في مطلق الأحكام الوجوب الاستحالة الجواز أما حقائق الأشياء وأدلتها في الإلهيات والنبوات فهي قطعاً مختلفة فالتشبيه في وجوب معرفة مطلق الأحكام الوجوب المحال الجواز فافهم.

Scanned by CamScanner

١٤. فالواجب العقلي ما لم يقبل الانتفا في ذاته فابتهل
١٥. والمستحيل كل ما لم يقبل في ذاته الثبوت ضد الأول
١٦. وكل أمر قابل للانتفا وللثبوت جائز بلا خفا

شرح الأبيات رقم (١٤، ١٥، ١٦):

شرع الناظم رحمه الله يعرف الواجب والمستحيل والجائز عقلاً قائلاً [فالواجب] أي الثابت [العقلي] أي المستند في ثبوته إلى العقل لا إلى الشرع ولا إلى التجربة والعادة هو الواجب العقلي ضابطه وتعريفه هو [ما لم يقبل الانتفا] بالقصر لضرورة الوزن [لذاته] فكل أمر ثبت ثبوتاً لا يقبل الانتفاء لذاته هو الواجب.

ومن هنا تعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف الواجب فعليه أن يفكر في الواجب وحده أي عليه أن يلاحظ الأمر الذي يدّعى فيه أنه واجب وحده من دون ملاحظة أي أمر آخر له فإذا كانت النسبة بين التعقل وبين هذا الأمر المستحضر في العقل هي نسبة الثبوت واللزوم والوجوب واستحالة الانتفاء فهذا الأمر واجب.

ومن هذا تعلم أنه لا يجوز أن يحكم الإنسان على شيء ما بالوجوب في حال ملاحظته لأمر آخر.

Scanned by CamScanner

مثال للتوضيح:

لو نظرت إلى شخص قائم يستند إلى الحائط في قيامه وليس متمكناً من القيام بنفسه فإنك والحال هذه إن نسبت القيام إلى هذا الإنسان في حال ملاحظتك الاستناد إلى الحائط يكون حكمك باطلاً لأن هذا القيام في الحقيقة منسوب إلى الحائط لأن الحائط هو الذي يقيمه لأن الحكم بالوجوب يجب عليك فيه ملاحظة الأمر وحده دون ملاحظة أمر آخر فلو أنك استحضرت ذلك الشخص وحده ورأيته قائماً بنفسه دون الاستناد إلى شيء آخر وحكمت له بالقيام كان حكمك صحيحاً وإذا كان عند ملاحظتك له وحده دون الاستناد إلى شيء آخر لم تستطع أن تلاحظه إلا هابطاً لولا العصا التي في يده أو الجدار الذي يستند إليه فليس لك أن تحكم له بالقيام بنفسه بل هو قائم بالعصا أو الجدار.

إذن الحكم على شيء بالوجوب لا يجوز حال استحضار هذا الشيء في حال ارتباطه بشيء آخر بل يجب أن نقطع أي ارتباط وأي نسبة بين هذا الأمر الذي هو محل الحكم العقلي وبين غيره ثم نحكم عليه.

[فابتهل] –بكسر اللام – أي تضرع واطلب من الله معرفة ما ينفعك.

Scanned by CamScanner

واعلم أن الواجب العقلي ينقسم إلى قسمين:

ضروري: وهو ما لا يتوقف على نظر[1] واستدلال. كالتحيز للجرم أي أخذه قدر ذاته من الفراغ فحكم العقل بأن الجرم يأخذ من الفراغ قدر ذاته واجب ضروري أي بدهي يستحيل أن يغفل الذهن عن هذا الحكم وهو نسبة التحيز إلى الجرم.

ونظري: وهو ما توقف على نظر واستدلال. كإثبات القدم لله عز وجل فنسبة القدم لله عز وجل أي عدم الأولية واجب نظري أي أنه يحتاج إلى نظر لكي يتوصل العقل إلى التصديق بهذا الحكم ويدل على ذلك أن الإنسان لو خُلِّي ونفسه واستعرض هذه القضية فإنه لا يبادر بالتصديق بها ولا يبادر بالتكذيب بها أيضاً بل يتوقف إلى حين حصوله على الدليل النافي أو المثبت هذا هو معنى كونه نظرياً.

وكل واحد من القسمين الضروري والنظري لا يقبل الانتفاء لذاته.

[والمستحيل] العقلي ضابطه مذكور في قول الناظم [كل ما لم يقبل في ذاته الثبوت] فهو [ضد الأول] أي ضد الواجب – وكسرت لام يقبل للوزن– .

---

(١) **النظر لغة:** التأمل والفكر. **واصطلاحاً:** ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول كترتيب المقدمة الصغرى والكبرى المعلومتين للتوصل إلى مجهول وهو النتيجة والاستدلال إقامة الدليل.

Scanned by CamScanner

فالمستحيل: هو المنتفي الذي لا يقبل الثبوت في ذاته.وهو قسمان أيضاً:

ضروري: كخلو الجرم عن الحركة والسكون معاً أي انتفاؤهما معاً مستحيل يستحيل للعقل أن يتصور جسماً لا متحركاً ولا ساكناً وهذا من البدهيات التي لا تتوقف على النظر والتفكير.

ونظري: كالشريك لله تعالى فهذا أمرٌ مستحيل لا يقبل العقل التصديق به ولكن بعد النظر والتفكير.

ولما فرغ الناظم من حد الواجب والمستحيل شرع يبين حد الجائز فقال [وكل أمر قابل] أي في حد ذاته [للانتفا وللثبوت] فهو [جائز بلا خفا] أي بلا غموض لوضوح المعنى.

فالجائز العقلي ويسمّى الممكن أيضاً: هو بعبارة واضحة لا خفاء فيها كل أمر يقبل الثبوت والانتقاء في ذاته.وهو أيضاً قسمان:

ضروري: كخصوص الحركة أو السكون للجرم.

ومن هنا تعلم أن الحركة والسكون للجرم يصح أن يمثل بهما لأقسام الحكم العقلي الثلاثة.

فالواجب ثبوت أحدهما لا بعينه للجرم والمستحيل نفيهما معاً عنه والجائز ثبوت أحدهما له بالخصوص.

Scanned by CamScanner

ونظري: كإثابة العاصي وتعذيب المطيع فإثابة العاصي وتعذيب المطيع أمران جائزان ولكن ليسا بدهيين فهما يحتاجان إلى الفكر والنظر ولزيادة إيضاح هذه المسألة نقول: الإثابة والتعذيب من أفعال الله عز وجل لا من صفاته ولا يمكن أن يكون فعل من أفعال الله عز وجل واجباً إذ لو كان كذلك لصار الله تعالى مجبراً وهذا محال في حق الله عز وجل إذ أن أفعال الله عز وجل جائزة وليست واجبة والإثابة والتعذيب ليست صفات ولا ذوات بل هي أفعال الله عز وجل وكل أفعال الله تعالى جائزة فإثابة أي إنسان وتعذيب إي إنسان جائز على الله عز وجل وقد يستغرب الإنسان من إثابة العاصي وتعذيب المطيع وتذهب الغرابة عند فهم المسلم أن الإنسان إذا فعل المعصية فليست معصيته هي علة للعقاب كذلك المطيع إذا صلى أو صام أو زكى أو حج أو عمل نوعاً من أعمال البر ليست هذه الأفعال هي العلة التي تؤثر في الله فتجعله يثيب فاعل تلك الطاعة وليست هي العلة التي تخلق بنفسها الثواب لفاعلها ليس الأمر كذلك أبداً بل هي عبارة عن أسباب عادية جعلها الله عز وجل شروطاً عادية لإرادته التعذيب أو الإثابة ويزيد الأمر وضوحاً وبياناً قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله**» قيل: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**» إذن ليس العمل هو الموجب للدخول لذلك دعاء الإنسان لربه أن يدخله الجنة وينجيه من النار دليل واضح على أن المرء يعتمد على فضل الله عز وجل لا على عمله ولا يكون الشيء فضلاً إلا إذا كان بإرادة من غير إجبار

Scanned by CamScanner

ووجوب فما كان واجباً ليس فضلاً فالفضل هو ما كان زائداً على الواجب وليس هناك واجب على الله تعالى وما على الإله شيء يجب. فإن قلت: وعد الله عباده الطائعين بالجنة وتوعد العصاة بالنار. قلت: نعم ولكن هذا ليس من ضمن الواجب العقلي بل هو من باب أن الله عز وجل وعد وهو لا يخلف وعده.

ومن الجائز العقلي الشبع عند الأكل والإحراق عند مماسة النار وكل الأحكام العادية فلا الأكل يوجد الشبع ولا النار توجد الإحراق بل الله عز وجل يخلق الشبع عند الأكل ويخلق الإحراق عند مماسة النار إن أراد ذلك سبحانه وإن لم يرد الإشباع أو الإحراق لا يوجدان فقد جعل الله النار على إبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ووجود التخلف بين الإحراق والنار دليل الجواز وقد قام الدليل القطعي على أن الله عز وجل هو الفاعل المختار وحده لا شريك له وهو الخالق لكل شيء قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢] فالشبع والإحراق مخلوقان لله عز وجل فليس الإحراق مخلوقاً للنار ولا الشبع مخلوقاً للأكل ولا الري مخلوقاً للشرب بل الله عز وجل خالق كل ذلك فافهم ولا تكن من الغافلين.

Scanned by CamScanner

١٧. ثم اعلمن بأن هذا العَالَمَا أي ما سوى الله العلي العَالِمَا
١٨. من غير شك حادث مفتقر لأنه قام به التغير

شرح البيتين رقمي (١٧، ١٨):

[ثم] بعد أن عرفت أنه يجب على كل مكلف شرعاً أن يعلم ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز [اعلمن] فعل أمر وفيه حث على التنبيه لحدوث العالم وزيادة نون التوكيد الخفيفة فيه حث ثانٍ للتنبيه فتنبه وافهم [بأن هذا العَالَمَا] بجميع أجزائه وهي: جواهر وأعراض؛ لأن العلماء حين نظروا في هذا العالم وجدوه يتكون من جزئين هي: أجسام، وصفات طارئة على هذه الأجسام.

فالأجسام سموها: أعياناً وجواهر - جمع جوهر وهو أصل الشيء لما أن الأعراض تقوم بالجواهر فكأن الجواهر أصل لها - وسموا ما يقوم في هذه الأجسام: بالأعراض واشتقوا هذا الاسم من كلمة عرض يعرض عرضاً إذا طرأ على الشيء ولم يدم قال العلامة الجوهري في الصحاح والعرض بالتحريك ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه وعرض الدنيا أيضاً ما كان من مال قلّ أو كثر يقال الدينا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ا.هـ فالعرض لا يدوم ويمكن أن يتغير ثم فسر الناظم هذا العالم بقوله [أي] أن العالم هو [ما سوى الله] عز وجل [العلي العَالِمَا] نعت لله عز وجل على القطع أي ليس تابعاً لما قبله في الإعراب

Scanned by CamScanner

لذلك هو منصوب على المدح والألف للإطلاق هذا العالم بجزئيه الجواهر والأعراض [حادث مفتقر] إلى محدث [من غير شك] ولا ريب فقوله حادث خبر أن.

والحدوث معناه: الوجود بعد العدم. وكل ما سوى الله عز وجل من الموجودات حادث مخلوق لله عز وجل لأن هذه الموجودات كانت في الأصل معدومة ثم أوجدها الله عز وجل بإرادته على حسب علمه الأزلي والدليل على ذلك من القرآن قوله عز وجل: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦] فدلت الآية صراحة أن الله خالق كل شيء، والخلق: هو الإيجاد بعد العدم.

والدليل على ذلك من السنة حديث عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال ﷺ: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض**» فنادى

منادٍ: ذهبت ناقتك يا بن حصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها. رواه البخاري.

وفي رواية أخرىٰ في البخاري قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» ورواه ابن حبان كذلك وهو عند الطبراني في الكبير بلفظ «**كان الله ولم يكن غيره**» وعند أحمد «**كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء وهو خلق كل شيء وهو بعد كل شيء**» فهذه الروايات الصحيحة تدل دلالة واضحة علىٰ أن كل ما سوىٰ الله حادث لم يكن ثم كان أي وجد بعد العدم فافهم.

وبعد معرفتنا أن العالم لا بد أن يكون حادثاً وعلمنا أن الحدوث هو الوجود بعد العدم كان لا بد لنا من معرفة الدليل العقلي علىٰ الحدوث وقد ذكره الناظم بقوله [لأنه قام به التغير] أي أن دليل حدوث العالم هو التغير والمراد بالتغير تبدل الأحوال والصفات لأفراد العالم فأنت ترىٰ بعض الأشياء تتحرك وترىٰ بعضها لا تتحرك وما رأيته متحركاً قد تراه ساكناً وترىٰ بعض الأمور لها لون وبعضها لا لون له وهكذا فهذه الأحوال التي تطرأ علىٰ العالم هي بذاتها دليل علىٰ حدوثه والتغير في العالم مشاهد أو مستدل عليه أما التغير المشاهد فكما نشاهد الحركات والسكنات الطارئة علىٰ الأجسام المختلفة فترىٰ الأشجار والطيور والإنسان يتحرك وأما المستدل عليه فكما ترىٰ مثلاً القمر دائماً متحركاً فتقول إن العقل لا يمنع سكون القمر لأن القمر من جنس الحجارة

Scanned by CamScanner

والمواد التي نشهدها على الأرض فما دامت هذه المواد تتحرك وتسكن فنحن نحكم على القمر بالعقل أنه يجب أن يجوز عليه هذان الأمران أيضاً – أعني الحركة والسكون – لأن القاعدة العقلية تقول: إن ما جاز على الشيء فيجب أن يجوز على مثيله فالمتماثلات يثبت لها نفس الأحكام فافهم.

والتغير قائم بالأعراض فالأعراض حادثة لأن التغير دليل الحدوث وهذه الأعراض لا تنفك عن الأعيان أي الجواهر بدليل العقل لأن الجسم إما أن يكون متحركاً أو ساكناً والحركة والسكون من الأعراض ولا يجوز أن ينفك الجسم عنها لأن معنى ذلك أن يكون الجسم لا متحركاً ولا ساكناً وكون الجسم كذلك محال عقلاً وما دام الجسم لا ينفك عن الحركة والسكون معاً بل لابد من وجود أحدهما علمنا أن الأعراض لا تنفك عن الأعيان وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث قطعاً فالأعيان حادثة يعني أننا إذا عرفنا أن الجسم لا يوجد إلا متلبساً بالأعراض وقد قام البرهان العقلي أن الأعراض حادثة قطعاً ولا يمكن أن تكون قديمة بل يجب أن تكون حادثة إذن ما لا يوجد إلا بوجودها وهو الجسم يستحيل أن يكون قديماً فيجب أن يكون حادثاً لأن الأمر الذي يشترط وجوده بوجود أمر لا يكون إلا حادثاً لا يمكن أن يكون إلا حادثاً إذن العالم كله حادث لأنه إما عرض أو جوهر فافهم والحادث مفتقر إلى محدث ضرورة، يعني أنه إذا ثبت أن العالم كله وهو ما سوى الله عز وجل حادث لا بد أن تعلم أن كل حادث يجب أن يكون محتاجاً إلى

Scanned by CamScanner

محدث في وجوده فيستحيل أن يوجد الحادث بلا محدث إذ لا بد لكل صنعة من صانع.

وإذا ثبت بأن العالم حادث فيجب أن يثبت أنه ليس بقديم ولا يجوز أن يقال أن العالم ليس بقديم ولا بحادث أيضاً لأن هذا رفع للنقيضين وهو محال ببداهة العقول لأن الحادث هو الموجود بعد العدم والقديم هو الموجود بلا سبق عدم وبتعبير آخر الحادث كل ما له بداية والقديم هو ما لا بداية له فاجتماع الحدوث والقدم في أمرٍ واحدٍ مستحيل للزوم اجتماع النقيضين وهو مستحيل ببداهة العقول، فلا بد أن يكون العالم إما قديم أو حادث وقد قام البرهان القاطع أنه حادث لأنه كان عدماً فأوجده الله عز وجل.

١٩. حدوثه وجوده بعد العدم وضده هو المسمّى بالقدم

شرح البيت رقم (١٩):

يعني أن حدوث العالم عبارة عن [وجوده] بعد عدمه وضد الحدوث [هو المسمّى بالقدم] ولا يكون القدم إلا لله عز وجل وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] وسيأتي بيانه في صفة القدم.

Scanned by CamScanner

٢٠. فاعلم بأن الوصف بالوجود من واجبات الواحد المعبود

شرح البيت رقم (٢٠):

هذا العالم المحسوس الذي نراه ونعيش فيه قد خلقه خالق هو الله عز وجل لا شريك له في الملك هذا الرب الجليل له صفات حسنى سبحانه تليق بذاته المقدسة وهذه الصفات الكمالية لا عدّ لها ولا حصر فيجب على المرء أن يعتقد أن كل كمال يليق بذاته المقدسة يجب أن ينسب إليه ويضاف إليه سبحانه وتعالى ويجب على المرء أن يعتقد أن كمالات الله عز وجل لا حصر لها ولا عدّ لها لأنها لا تتناهى ولا يحيط بها علم البشر والدليل العقلي على أن كل كمال يليق بذاته المقدسة هو واجب له عز وجل أن الله تعالى لو لم يجب له كل كمال يليق بذاته المقدسة لجاز أن يتصف بشيء من النقائص ولو جاز اتصافه بشيء منها لكان عاجزاً عن دفع النقائص عنه وإذا ثبت عجزه لا يكون إلهاً للعالم لكن قد ثبتت ألوهيته وثبتت قدرته بالدلائل العقلية والنقلية فبطل أنه عاجز وبطل جواز اتصافه بشيء من النقائص وثبت له كل كمال يليق بذاته المقدسة سبحانه وتعالى.

والدليل النقلي على أن كل كمال يليق بذاته المقدسة هو واجب له عز وجل قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤] أي شبيهاً ومثلا وقوله تعالى ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

Scanned by CamScanner

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤].

والقدوس: البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح ، وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح. والدليل على أن صفات الكمال غير محصورة ولا معدودة قوله ﷺ: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» رواه مسلم ومالك وأحمد وغيرهم.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى من حديث علي ﷺ بلفظ «**اللهم لا أستطيع ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك**».

وفي الآحاد والمثاني للضحاك عن خالد بن الطفيل بن مدرك الغفاري ﷺعن النبي ﷺ «**لا أبلغ ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

فهذه تدل دلالة واضحة على أن كمالات الله عز وجل لا تُعدّ ولا تُحصى لذلك وجب علينا أن نؤمن بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الجلال والكمال سبحانه وتعالى وهذا من حيث الإجمال أما من حيث التفصيل فيجب الإيمان بالصفات التي قام البرهان العقلي والنقلي على ثبوتها لله عز وجل تفصيلاً وهي على طريقة الإمام الأشعري ﷺ

Scanned by CamScanner

ثلاث عشرة صفة هي:

١ ـ الوجود.

٢ـ القدم.

٣ـ البقاء.

٤ـ المخالفة للحوادث.

٥ـ قيامه تعالى بنفسه.

٦ـ الوحدانية.

٧ـ القدرة.

٨ـ الإرادة.

٩ـ العلم.

١٠ـ الحياة.

١١ـ السمع.

١٢ـ البصر

١٣ـ الكلام النفسي.

وزاد الإمام فخر الدين الرازي وغيره من أتباع الإمام الأشعري رحمهم الله جميعاً الصفات المعنوية وهي كونه تعالى قادراً مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متكلماً.

Scanned by CamScanner

فالصفات الواجبة لله تعالى تفصيلاً عشرون صفة عند السادة الأشاعرة ﷺ وقد علمت أن صفات الله الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين إذ كمالاته تعالى لا نهاية لها لكن الله عز وجل لا يحاسبنا على عدم معرفة جميع كمالاته تفصيلاً لأنه لم يكلفنا بذلك لعجزنا عن الإحاطة بكمالات الله عز وجل لكن وجب علينا الإيمان بكمالات الله عز وجل إجمالاً لأن ذلك في مقدرونا واستطاعتنا كما وجب علينا الإيمان تفصيلاً بما قام عليه البرهان العقلي والنقلي وهو عشرون صفة كما علمت.

والكلام في ما يتعلق بصفات الله عز وجل يسمّى في التوحيد باب الإلهيات أي الموضوعات والمسائل التي تتعلق بذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل في حقه وما يجوز وقد بدأ الناظم يتكلم عليها في هذا البيت فقال [فاعلم] أيها المكلف [بأن الوصف بالوجود] أي اعلم بأن الوجود نفسه [من واجبات الواحد المعبود] أي من الصفات الواجب إثباتها للواحد المعبود ومعنى كون وجوده عز وجل واجباً أنه لا يقبل الانتفاء أزلاً وأبداً أي لا يمكن عدمه.

فالوجود صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات لأن الوجود وصف لذات الله المتحققة الثابتة لذلك كانت صفة الوجود صفة نفسية لأنها نفس الموجود فافهم.

Scanned by CamScanner

٢١. إذ ظاهر بأن كل أثر يهدي إلى مؤثر فاعتبر

شرح البيت رقم (٢١):

بعد أن أثبت المصنف صفة الوجود لله عز وجل شرع يبرهن على وجوده تعالى بوجود صنعته عز وجل فقال [إذ ظاهر] أن العالم أثر أي صنعة متقنة حادث أوجد بعد عدم [وكل أثر يهدي إلى مؤثر] أي يدل على صانعه إذ لا يعقل صنعة بدون صانع وموجود بلا موجد ومخلوق بلا خالق لأن كل أثر يهدي إلى مؤثر وهذا من بدهيات العقول فلا شك أن الحادث لا بد له من محدث فوجود الحادث بلا محدث باطل بداهة وقد قام البرهان على أن العالم متغير وكل متغير حادث إذن العالم حادث وما دام العالم حادثاً فلا بد له من خالق والخالق هو الله عز وجل. وإذا علمت أن كل صنعة تدل على وجود صانعها [فاعتبر] أي تأمل في ملكوت السموات والأرض تجدها تدل على الحكيم الخبير.

والدليل النقلي على إثبات صفة الوجود لله تعالى قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] أي دائم وجوده وهو مع المتقين والمحسنين بالعون والنصر والتأييد.

وقال عز وجل ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام:١٠٢] وقال عز وجل ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢] وقال تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣].

Scanned by CamScanner

والدليل العقلي على وجوب وجود الله عز وجل أنه قد ثبت لله عز وجل الوجود والعالم محتاج في وجوده وفي جميع شئونه إلى الله عز وجل ومن ثبت وجوده واحتياج العالم إليه لا يكون من جملة العالم فيكون وجوده لذاته ومن كان وجوده لذاته يجب له الوجود فالله عز وجل يجب له الوجود ويستحيل عليه العدم فالعدم ضد الوجود.

٢٢. وذي تسمّى صفة نفسيةْ ثم تليها خمسة سلبيةْ

شرح البيت (٢٢):

[وذي] أي وهذه الصفة أي صفة الوجود [تسمّى صفة نفسية] نسبة إلى النفس أي الذات والصفة النفسية هي التي لا تعقل الذات بدونها أي لا يمكن تصور الماهية بدون أن ينسب إليها صفة الوجود لذلك سُمّي الوجود صفة نفسية لأن الوجود نفس الذات لذلك عرفوا الصفة النفسية بأنها صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات.

[ثم تليها] في الذكر [خمسة سلبية] نسبة للسلب أي النفي إذ مدلول كل واحد منها سلب أمر لا يليق به عز وجل.

Scanned by CamScanner

٢٣. وهي القدم بالذات فاعلم والبقا قيامه بنفسه نلت التقى
٢٤. مخالف للغير وحدانيةْ في ذاته صفاته العليةْ
٢٥. والفعل فالتأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا

شرح الأبيات (٢٣، ٢٤، ٢٥):

شرع الناظم يبين الخمس الصفات السلبية فقال [وهي] أي الصفات السلبية [القدم بالذات فاعلم] ذلك لا تغفل عنه والثاني من الصفات السلبية [البقا] بالقصر للضرورة الشعرية وثالث الصفات السلبية [قيامه] تعالى [بنفسه نلت] أي أدركت [التقى] أي التقوى وهي امتثال المأمورات فعلاً والمنهيات تركاً ورابع الصفات السلبية [مخالف للغير] أي مخالفته تعالى لغيره من الحوادث وخامس الصفات السلبية [وحدانية] لله عز وجل في الذات أي [في ذاته] تعالى وكذلك الوحدانية ثابتة في [صفاته العلية] كذلك هو عز وجل متصف بوحدانية الأفعال لذلك قال الناظم [والفعل] وإذا علمت أنه تعالى يجب له الوحدانية [فالتأثير] أي الاختراع والإيجاد للأشياء من العدم [ليس] أي لا يصح لأحد [إلا للواحد القهار] وحده [جل وعلا] هذا معنى الأبيات إجمالاً وهاك تفصيل الصفات السلبية مرتبة حسب ما ذكرها الناظم رحمه الله.

Scanned by CamScanner

١ـ صفة القدم الذاتي:

بمعنى أنه تعالى قديم لذاته لا لعلة قديمة اقتضت وجوده تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ويقصد المؤلف من هذا الرد على الفلاسفة وبيانه: أن الفلاسفة جعلوا العالم قديماً لا لذاته، ولكن لعلة وسبب، ذلك السبب هو وجود الله، فعلة قدم العالم وجود الله عز وجل، فأراد المؤلف رحمه الله أن ينفي الصورة التي قال بها الفلاسفة في حق العالم فعبر بالقدم الذاتي يعني أن الله عز وجل قديم لذاته لا لعلة أوجبت قدمه تعالى. لذلك كان معنى قولنا الله قديم أنه لا أول لوجوده.

والدليل على صفة القدم قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] ومعنى الأول: الذي لا ابتداء لوجوده. وتقدم حديث «**كان الله ولم يكن شيء قبله**» وفي دعاء النبي ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» رواه مسلم.

والدليل العقلي أن تقول لو لم يكن الله عز وجل قديماً لكان حادثاً ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث فيكون غير واجب الوجود لكن قد ثبت بالبرهان القاطع أن الله عز وجل واجب الوجود فانتفى ما أدى إلى عدم وجوب الوجود وهو كونه غير قديم فيثبت له وجوب القدم.

Scanned by CamScanner

٢ـ صفة البقاء:

وهي سلب الآخرية أي نفيها أي أنه تعالى لا آخر لوجوده تعالى والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣] ومعنى الآخر: الباقي الذي لا نهاية لوجوده. وقال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧] وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] والوجه في الآيتين: الذات. وفي دعاء النبي ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء والآخر فليس بعدك شيء**». رواه مسلم.

والدليل العقلي على صفة البقاء أن تقول كل ما ثبت قدمه وجب له البقاء وامتنع عليه الفناء واستحال عدمه لأن ما ثبت له القدم فإنه يستحيل أن يكون ممكن الوجود لأن كل ممكن الوجود فهو حادث أي موجود بعد عدم إذن يثبت أنه واجب الوجود وكل ما كان واجب الوجود فإنه يستحيل تصديق العقل بعدمه وما كان كذلك فهو واجب البقاء.

٣ـ قيامه تعالى بنفسه:

ومعنى قيام الله تعالى بنفسه عدم احتياجه عز وجل إلى ذات يقوم بها أو إلى موجد يوجده تعالى أي ليس الله صفة مجردة عن ذات حتى يحتاج إلى ذات تحل فيها الصفة وليس الله حادثاً حتى يحتاج إلى إله يوجده.

Scanned by CamScanner

والدليل العقلي على إثبات صفة القيام بالنفس لله تعالى من جهتين:

أولهما: جهة أنه ليس صفة مجردة عن ذات.

وثانيها: جهة أنه ليس حادثاً حتى يحتاج إلى محدث.

فمن الجهة الأولى: نقول إن الله تعالى ليس صفة مجردة عن ذات لأنه لو كان صفة مجردة عن ذات لما اتصف بالصفات الثبوتية من نحو القدرة وغيرها إذ القدرة يلزمها ذات لأنها بدون الذات لا تفعل شيئاً وإذا ثبت وجوب اتصافه بالقدرة وغيرها فإنه لا يكون صفة مجردة عن ذات.

ومن الجهة الثانية: نقول إن الله ليس حادثاً كالمحدثات من الشمس والقمر وغيرها لأنه قد ثبت له وجوب القدم ومن ثبت له وجوب القدم فإنه يستحيل عليه الحدوث.

وإذا بطل كون الله صفة مجردة عن ذات وبطل كونه حادثاً فإنه يبطل عدم قيامه بنفسه ويجب له تعالى صفة القيام بالنفس.

والدليل النقلي على هذه الصفة قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢] وقوله تعالى ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه:١١١] وقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾

Scanned by CamScanner

[فاطر: ١٥]. فالله هو الغني على الإطلاق فكل شيء محتاج إليه والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء.

٤ـ مخالفته للحوادث:

أشار الناظم إلى هذه الصفة بقوله تخالف للغير أي مخالفته تعالى لغيره من الحوادث والمقصود من المخالفة للحوادث مغايرته سبحانه وتعالى لمخلوقاته وعدم مماثلته لها وهذه الصفة يجب أن يعتقدها الإنسان المسلم لله تعالى وإلا دخل عليه التشبيه، وهذه الصفة الواجبة لله تعالى مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي مشابهاً ومماثلاً وهذه هي الآيات المحكمات في موضوع الصفات في علم التوحيد فلا تغفل عنها، فهو سبحانه وتعالى ليس بجسم يتألف من أبعاض ولا تعرض له سبحانه عوارض النقص كالنوم والغفلة والجوع والظمأ والحاجة أو العوارض النفسية والجسمية المختلفة كالمرض والتعب والعجز، وصفاته سبحانه مغايرة لصفات خلقه فصفاته تامة كاملة قديمة بخلاف صفات المخلوقين وأفعاله سبحانه وتعالى مغايرة لأفعال خلقه لا يوصف أمر يريده بسهولة أو صعوبة أو خفة أو ثقل .

Scanned by CamScanner

قال أهل السنة رحمهم الله تعالى: وما ورد من الآيات والأحاديث المشعرة بمماثلة الله سبحانه لمخلوقاته من الاستقرار والذهاب والمجيء والنزول والعجب والضحك والعلو بالذات والمعية بها في مثل ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] وحصول الأذى له أو المرض وغيرها فهي من المتشابه الذي أمرنا بإثباته وإمراره بلا كيف مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق.

قال أهل السنة رحمهم الله تعالى: يجب أن نصف الله تعالى بجميع ما وصف نفسه به من صفات على ما يليق به سبحانه فننزهه جل علاه عن الجسمية والحيز والاحتياج وجميع ما فيه مشابهته بأحد من خلقه أو مشابهة أحد من خلقه له وننزهه سبحانه كذلك أن يكون خالياً مما وصف به نفسه لا نخوض في التعرف على كيفية ثبوت صفات الله تعالى له لأن ذاته سبحانه غير مدركة ولا مبصرة لنا في الحياة الدنيا بالحواس وصفاته سبحانه كذلك.

ذكر الإمام السيوطي رحمه الله: أن أم سلمة رضي الله عنها سئلت عن قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فقالت: الكيف غير معقول – لا يدركه العباد – والاستواء غير مجهول – بل معلوم لذكره في القرآن الكريم لا أن كيفية الاستواء معلومة – والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر لأنه إنكار لبعض القرآن الكريم وهو جواب منقول بعد عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس رضي الله عنهم.

Scanned by CamScanner

وعلماء المسلمين وفقهاؤهم متفقون في صفات الله تعالى على تأويل إجمالي لها بمعنى تنزيه الله تعالى عن كل نقص أو احتياج ومشابهة للخلق ثم تفويض العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز وجل ولولا هذا التأويل الإجمالي لوقع المؤمن في متناقضات في جانب الله تعالى معاذ الله.

والخلاصة:

أن من لم يصرف اللفظ المتشابه – آيةً كان أو حديثاً – عن ظاهره الموهم للتشبيه أو المحال فقد ضل ومن فسره تفسيراً بعيداً عن الحجة والبرهان قائماً على الزيغ والبهتان فقد ضل وكل هؤلاء يُقال فيهم أنهم يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أما من يصرف المتشابه عن ظاهره بالحجة القاطعة لا طلباً للفتنة ولكن منعاً لها وتثبيتاً للناس على المعروف من دينهم ورداً لهم إلى محكمات الكتاب القائمة أو أولوها تأويلاً قريباً ترضاه اللغة ويوافق الشرع فأولئك هم هادون ومهديون حقاً وعلى ذلك درج سلف الأمة وخلفها وأئمتها وعلماؤها.

٥ـ الوحدانية:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٧٣ – ٧٤) وقال

Scanned by CamScanner

تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقال تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١ – ٩٢] وقال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تثبت أن الله تعالى واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله وتصرفاته لا رب غيره ولا إله سواه.

ووحدانية الله تعالى تامة كاملة من كل جهة وتقدير وهو سبحانه واحد في ذاته العلية فهو سبحانه لا شريك له ولا زوجة ولا ولد وهو سبحانه واحد في ذاته ليس مؤلفاً من أجزاء ولا أبعاض ولا يحل في مكان ولا تحويه جهة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

إنه سبحانه واحد في صفاته له سبحانه الصفات العُلى ليس لصفاته ابتداء وليس لها انتهاء هي صفات كاملة تامة ما عرض لها ولا يعرض لها نقص يوماً ولا يعرض لها زيادة ونمو يوماً، وهي صفات قديمة قائمة بذات الله والله وحده يعلم كنه اتصافه بها، إن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقات فالله تعالى عالم ولكن ليس علم الله تعالى كعلم العباد له ابتداء وامتداد وانتهاء وله وسائله بل علمه سبحانه صفة أزلية قديمة تامة ما كانت ناقصة يوماً فنمت ولا يعرض لها نمو ولا انتهاء في المستقبل

Scanned by CamScanner

معاذ الله وكذا سائر صفات الله تعالى ليس لله سبحانه من كل نوع إلا صفة واحدة فليس لله سبحانه قدرتان مثلاً ولا علمان بل قدرة واحدة وعلم واحد وهكذا سائر الصفات فيقال: العلم واحد والمعلوم متعدد، القدرة واحدة والمقدور متعدد، وإلا لزم وقوع المؤثرين على أثر واحد.

وهو سبحانه واحد في أفعاله ليس لغيره تعالى فعل من الأفعال فالله خالق كل شيء ومبدع كل شيء فهو تعالى مستقل بالإيجاد والإبداع قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

ويلزم من إثبات صفة الوحدانية لله عز وجل أن نعتقد اعتقاداً جازماً أن لا مؤثر ولا خالق إلا الله قال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢] وقال عز وجل ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر:٦٢] وهذا معنى قول الناظم فالتأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا فالضار النافع هو الله والمعطي المانع هو الله والباسط القابض هو الله.

فالماء لا يروي بنفسه ولكن الله يخلق الري عند تناوله، والطعام لا يشبع بنفسه ولكن الله يخلق الشبع عند تناوله، والنار لا تحرق بنفسها ولكن الله يخلق الإحراق وهكذا فالمؤثر هو الله وحده لا شريك له.

Scanned by CamScanner

٢٦. ومن يقل بالطبع أو بالعلةْ فذاك كفر عند أهل الملةْ
٢٧. ومن يقل بالقوة المودعةِ فذاك بدعّي فلا تلتفت

شرح البيتين رقمي (٢٦، ٢٧):

إذا علمت بالبرهان القاطع بأن الله عز وجل واحد في أفعاله وأن الخلق والإيجاد بعد العدم لا يصح لأحد إلا لله الواحد القهار المريد القادر جل وعلا فاعلم أن [من يقل] من أهل الزيغ والباطل [بالطبع] أي بتأثير الطبع أي الطبيعة فيقول بأن الأفعال والمفعولات في هذا العالم ناتجة عن طبيعة راسخة في الأشياء بلا دخل لإرادة الله تعالى وقدرته أو يقل [بالعلة] أي بتأثيرها بأن يقول إن بعض الأشياء علة أي سبب في وجود شيء من غير أن يكون لله تعالى فيه قدرة ولا إرادة والفرق بين تأثير الطبع وتأثير العلة وإن اشتركا في عدم إثبات القدرة والإرادة لله عز وجل أن التأثير بالطبع يتوقف على وجود الشرط وانتفاء المانع كالإحراق بالنسبة للنار فإنه يتوقف على شرط مماسة النار للشيء المحرق وانتفاء مانع البلل فيه مثلاً وأما التأثير بالعلة فلا يتوقف على ذلك بل كلما وجدت العلة وجد المعلول كحركة الخاتم بالنسبة لحركة الأصبع ولهذا كان يلزم اقتران العلة بمعلولها ولا يلزم اقتران الطبيعة بمطبوعها لتخلف الشرط أو انتفاء المانع.

Scanned by CamScanner

والقول بتأثير الطبع أو العلة كفر ومعتقده كافر عند أهل الملة الإسلامية لأن معتقد ذلك ينفي القدرة والإرادة عن الله عز وجل وينسب فعلاً لا يليق إلا بالله لبعض المخلوقات ذلك الفعل هو الخلق المستقل وهذا ينافي التوحيد.

فأهل التوحيد يقررون أنه لا يوجد فاعل بالطبيعة ولا بالعلة إنما الفاعل هو الله سبحانه وتعالى المريد القادر فعّال لما يريد ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن الغالب على أمره القاهر فوق عباده الضار النافع وحده لا شريك له ولا مؤثر في شيء من الأشياء سواه جل وعلا [ومن يقل] من أهل الزيغ والباطل أن الأمور العادية كالشبع عند الأكل مثلاً تؤثر [بالقوة المودعة] أي بواسطة قوة أودعها الله تعالى فيها [فذاك] القائل بهذا القول [بدعيّ] أو ارتكب بدعة قبيحة [فلا تلتفت] لقوله بل أعرض عنه وجوباً وتمسك بقول أهل السنة والجماعة أنه لا تأثير لما سوى الله أصلاً لا بطبع ولا علة ولا بواسطة قوة أودعت فيها وإنما التأثير لله وحده بمحض إرادته وكامل قدرته فهو سبحانه وتعالى المريد القادر الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك لا مكره له سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

Scanned by CamScanner

٢٨. لولم يكن متصفاً بها لزم حدوثه وهو محال فاستقم
٢٩. لأنه يفضي إلى التسلسلِ والدور وهو المستحيل المنجلي

شرح البيتين رقمي (٢٨، ٢٩):

[لو لم يكن] الله عز وجل [متصفاً بها] بكل واحدة من الصفات السلبية المتقدم ذكرها [للزم حدوثه] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [وهو] أي حدوثه جل وعلا [محال] لا يقبل الثبوت عقلاً لقيام البرهان القاطع على قدمه عز وجل [فاستقم] على منهج أهل الحق ولا تزغ عن الصراط المستقيم وإنما كان حدوثه محالاً [لأنه] أي القول بالحدوث [يفضي إلى التسلسل] وهو محال [و] يفضي إلى [الدور] وهو كذلك محال وأشار الناظم إلى هذه بقوله [لأنه] أي القول بالحدوث [يفضي] أي يؤدي إلى [التسلسل] وهو محال وباطل [و] يفضي إلى [الدور وهو المستحيل المنجلي] الظاهر بطلانه ودليل بطلان التسلسل والدور أنه يلزم في الدور وهو توقف وجود شيء على آخر قد توقف ذلك الآخر في وجوده على الأول كتوقف وجود زيد على عمرو وعمرو على زيد يلزم في هذا الدور التقديم والتأخير في وقت واحد لكل منهما فإن كلاً منهما فاعل للآخر ومفعول له وكونه فاعلاً يلزم أن يكون متقدماً على مفعوله وكونه مفعولاً له يلزم أن يكون متأخراً عنه وكون الشيء الواحد متقدماً متأخراً في وقت واحد جمع بين النقيضين والجمع بين النقيضين محال.

Scanned by CamScanner

ويلزم في التسلسل وهو أن يحدث قبل كل حادث حادث لا إلى بداية يلزم من ذلك الفراغ وعدم النهاية لأن فرض التسلسل ترتيب أمور غير متناهية ودخولها في الوجود يقتضي أنها متناهية لأن كل ما دخل في الوجود فهو متناه فيلزم على القول بالتسلسل جمع بين النقيضين وهو أن ما لا نهاية له ينتهي والجمع بين النقيضين محال فإذا بطل الدور والتسلسل بطل حدوث الإله وإذا بطل حدوث الإله وجب قدمه وهو المطلوب.

٣٠. فهو الجليل والجميل والولي والطاهر القدوس والرب العلي

شرح في البيت رقم (٣٠):

[فهو] سبحانه وتعالى [الجليل] الذي يخضع لجلاله كل عظيم [و] هو سبحانه وتعالى [الجميل] الذي اتصف بصفات الجمال والجلال والكمال [و] هو سبحانه وتعالى [الولي] أي مالك الخلائق ومتولي أمورهم ومدبر شؤونهم [و] هو سبحانه وتعالى [الطاهر] المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وجماله وكماله [و] هو سبحانه وتعالى [القدوس] من القدس وهو الطهر أي العظيم التنزيه عن كل نقص وعيب [و] هو سبحانه وتعالى [الرب] لا رب سواه ولا خالق غيره جل وعلا وهو سبحانه وتعالى [العلي] العظيم المرتفع القدر المبرأ من كل عيب سبحانه جل وعلا.

Scanned by CamScanner

٣١. منزه عن الحلول والجهه والاتصال الانفصال والسفه

شرح البيت رقم (٣١):

الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فالله عز وجل [منزه عن الحلول] في الأمكنة لأن الأمكنة خلق الله ومفتقرة إلى الله والله الغني الحميد فالله موجود بلا مكان فالله عز وجل لا يُسأل عنه بأين فإن قلت جاء في صحيح مسلم سؤال النبي ﷺ للجارية أين الله فأشارت إلى السماء فقال النبي لسيد الجارية أعتقها فإنها مؤمنة قلت الحديث صحيح والسؤال بأين هنا سؤال عن المكانة لا المكان والعرب تقول في عالي المكانة أنه في السماء فالنبي حين سألها أين الله سألها أين مكانته عندك فلما أشارت إلى السماء دلت على أنه في المكانة العالية على أنه ورد في طرق الحديث بأسانيد صحيحة السؤال بلفظ أتشهدين أن لا إله إلا الله وبلفظ من ربك.

فإن سألك سائل أين الله؟ فجوابه: الله موجود بلا مكان.

قال الأستاذ عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى: وأجمعوا على أنه لا يحويه المكان.

[و] الله سبحانه وتعالى منزه كذلك عن [الجهة] وما جاء من الآيات والأحاديث يدل على جهة فوق فمعناه فوقية الرتبة والمكانة والقهر لتنزه الله عن الجهة إذ الجهات مخلوقة ومفتقرة إلى الله والله هو الغني الحميد وهو قائم تعالى بنفسه غير محتاج إلى شيء من خلقه وهو

Scanned by CamScanner

مخالف للحوادث كما سبق.

[و] الله عز وجل منزه عن [الاتصال والانفصال] فلا يقال أنه داخل العالم ولا خارجه لأن الدخول والخروج شأن الأجسام والله منزه عن ذلك فالله سبحانه وتعالى ليس متحيزاً ولا محدوداً ولا يوصف أنه متصل بالعالم ولا منفصل عنه لأن هذه الأمور من صفات الحوادث والله عز وجل ليس بحادث بل هو قديم قال تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] وقال تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فيجب على المؤمن أن يؤمن بالله عز وجل بلا كيف ولا يجوز أبداً أن يتصور الإنسان ربه بصورة معينة لأن أصل هذه الصور يكتسبها الإنسان من الصور الأخرى التي حوله فنحن من أين عرفنا الحركة ومن أين عرفنا التحيز ومن أين عرفنا مفهوم المكان ومن أين عرفنا الاتصال والانفصال كل هذه الأوصاف عرفناها من المخلوقات والله لا يشبه المخلوقات فكيف يمكن لنا أن ننسب بعض هذه الأوصاف لله ونحن نؤمن بأن الله مخالف للحوادث وجعلنا هذه الصفة صفة مخالفته تعالى للحوادث من الصفات الواجبة لله ودللنا عليها بقوله تعالى ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] وبقوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وبقوله تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤] لذلك قرر أهل السنة تنزه الله عز وجل عما لا يليق بجلاله ومن ذلك تنزهه عن الحلول في مكان أو جهة وتنزهه عز وجل عن الاتصال والانفصال [و] هو سبحانه وتعالى منزه عن السَفه وهو وضع الشيء في غير محله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

Scanned by CamScanner

٣٢. ثم المعاني سبعة للرائي أي علمه المحيط بالأشياء
٣٣. حياته وقدرة إراده وكل شيء كائن أراده
٣٤. وأن يكن بضده قد أمرَا فالقصد غير الأمر فاطرح المرا
٣٥. فقد علمت أربعاً أقساما في الكائنات فاحفظ المقاما
٣٦. كلامه والسمع والإبصار فهو الإله الفاعل المختار

شرح الأبيات من (٣٢- ٣٦):

[ثم] يجب عليك أيها المكلف إثبات صفات لله عز وجل تسمىٰ صفات [المعاني] لأن كل واحدة منها عبارة عن معنىٰ قائم بذات الله عز وجل وتسمىٰ هذه الصفات بالصفات الوجودية أي التي لها وجود في نفسها وصفات المعاني [سبعة للرائي] أي للناظر والمتأمل.

أول هذه الصفات: [علمه المحيط بالأشياء] أي صفة العلم الأزلية القديمة التي تنكشف بها الموجودات والمعدومات علىٰ ما هي عليه انكشافاً تاماً وهي محيطة بالأشياء كلها واجبها وجائزها ومستحيلها.

فعلم الله تعالىٰ صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالىٰ تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء.

Scanned by CamScanner

والدليل العقلي على وجوب العلم لله عز وجل هو أن العالم العجيب الصنع والمحكم الإتقان يدل على أن خالقه عالم بكل شيء إذ لا يصدر الفعل المحكم المتقن من جاهل به.

والدليل النقلي على وجوب العلم لله عز وجل قوله تعالى ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وقال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]. وقال عز وجل ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤] وقال عز وجل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وثاني هذه الصفات: [حياته] أي صفة الحياة لله عز وجل وحياة الله عز وجل صفة أزلية قائمة بذاته سبحانه وتعالى تقتضي صحة اتصافه بالعلم والقدرة والإرادة وسائر الصفات إذ الإرادة والعلم وغيرهما من الصفات لا توجد إلا من حي.

والدليل العقلي على وجوب صفة الحياة لله تعالى أن الله عز وجل متصف بالإرادة والعلم وسائر الصفات ولا يتصف بهذه الصفات إلا من اتصف بالحياة فإذن الله حي.

Scanned by CamScanner

والدليل النقلي على وجوب صفة الحياة لله عز وجل قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] وقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(غافر: ٦٥].

وثالث هذه الصفات: قدرة [وقدرة] الله عز وجل صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق علمه تعالى وإرادته.

والدليل العقلي على وجوب القدرة لله تعالى أنه هو الخالق لجميع الكائنات وكل خالق قادر.

والدليل النقلي على وجوب القدرة لله عز وجل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية:١٧ – ٢٠] وقال تعالى ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤] وقال عز وجل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر:٤٤].

Scanned by CamScanner

ورابع هذه الصفات: [إرادة] وإرادة الله عز وجل صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة من وجود أو عدم ومقدار وزمان ومكان وجهة فإرادة الله عز وجل توجد العلم بدل الجهل وهكذا في سائر الممكنات والدليل العقلي على وجود الإرادة لله عز وجل أنه لو لم يكن مريداً لجميع الممكنات التي كانت والتي ستكون لكان مُكرهاً على إيجادها والمكره على إيجاد الشيء لا يكون متمكناً من الفعل والترك فيكون عاجزاً والعاجز لا يكون إلهاً وحيث إن الكائنات موجودة وتدل على خالق قادر فإذن الله عز وجل الذي أوجدها مريد قادر.

والدليل النقلي على وجوب الإرادة لله عز وجل قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وقال تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقال عز وجل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ – ٢٨] وقال عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] وقال عز وجل ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وقال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] [وكل شيء كائن أراده] المراد بالكائن الموجود أي كل ما يوجد في العالم من خير أو شر هو

Scanned by CamScanner

من الله عز وجل وإذا أمر المكلف بفعل الحلال وترك الحرام وعصى المكلف الأمر وفعل الحرام وترك الحلال فإنه ما فعل وترك إلا ما قدره الله وأراده إذ لا يقع في ملك الله إلا ما يريد.

فالقصد وهو الإرادة عندنا معشر أهل الحق غير الأمر فالإرادة شيء والأمر شيء آخر.

وقد تكون الإرادة متوافقة مع الأمر كالإيمان من أبي بكر الصديق ﷺ والمؤمنين فإنه أراده منهم وأمرهم به وقد يختلف الأمر عن الإرادة. **ومثال ذلك**: أن الله عز وجل أمر أبا جهل – عليه ما يستحق – بالإيمان ومع ذلك لم يرده منه فكان من الكافرين ولم يرضَ الله تعالى من أبي جهل الكفر ولا يرضى الله الكفر من أحد من الكافرين فالأمر في هذا المثال اختلف عن الإرادة.

[فاطرح المرا] أي اترك الجدال والنزاع الباطل الذي سلكه المعتزلة وأدّاهم إلى قول فاسد وهو أنه يقع في ملك الله ما لا يريده بناء على اتحاد الأمر والإرادة عندهم والله تعالى لا يأمر بالفحشاء فلا يريد القبائح أي الكفر والمعاصي وإن أرادها كان آمراً بها لاتحاد الأمر والإرادة وهو لا يأمر بالفحشاء فلا يكون مريداً لها فينتج أنه يقع في ملكه ما لا يريد وهذا قول باطل لأننا نمنع اتحاد الإرادة والأمر، فالأمر شيء والإرادة شيء آخر فالله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى الفحشاء من عباده ولكنها واقعة ممن وقعت منه بإرادة الله بدليل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والقبيح إنما هو كسب

Scanned by CamScanner

العبد القبائح والاتصاف بها لا خلقها وإرادتها فالله خالق كل شيء من خير وشر والعبد لا يخلق شيئاً لا من الخير ولا من الشر فالعبد له الكسب والرب جل وعلا هو الخالق الموجد للأشياء وفق إرادته قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال عز وجل ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

[فقد علمت أربعاً أقساماً في الكائنات] هي:

الأول: مأمور به ومراد كإيمان أبي بكر الصديق.رضي الله عنه

والثاني: غير مأمور به وغير مراد كالكفر من أبي بكر الصديق .رضي الله عنه

والثالث: مأمور به غير مراد كالإيمان من أبي جهل.

والرابع: غير مأمور به ومراد كالكفر من أبي جهل.

[فاحفظ المقاما] ولا تقع في باطل المعتزلة .

خامس صفات المعاني ذكره الناظم بقوله: [كلامه] وكلام الله عز وجل صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى وكلام الله عز وجل لا يشبه كلام الناس فكلام الله منزه عن الحرف والصوت والتقديم والتأخير والترتيب قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والدليل العقلي على وجوب صفة الكلام أنه لو لم يكن متصفاً بصفة الكلام لاتصف بالبكم وهو نقص والنقص يتنزه عنه الإله جل وعلا.

Scanned by CamScanner

والدليل النقلي على وجوب صفة الكلام قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] وقوله جل وجلاله ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

والتحقيق في هذه الصفة ما ذكره العلامة وهبي الألباني بقوله:

قال علماء أصول الدين إن الكلام ينقسم إلى قسمين:

الأول: الكلام اللفظي.

والثاني: الكلام النفسي.

فأما اللفظي فهو ذلك القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ وكذا سائر الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ولا ريب في أن الكلام اللفظي حادث مخلوق له تعالى لأن الألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها.

وقال الإمام الأعظم رحمه الله تعالى ورضي الله عنه في كتابه الوصية: نقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره بل هو صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور غير حال فيها والحبر والكاغد كلها مخلوقة لأنها أفعال العباد وكلام الله تعالى غير مخلوق ، لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها دلالة القرآن لحاجة العباد إليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الأشياء ا.هـ.

Scanned by CamScanner

فلا يقال إن الله تعالى يتكلم بحروف أو أصوات وبآلة من فم ولهاة والله معبود ولا يزال كما كان وكلامه مقروء ومكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه.

وأما النفسي فهو صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ويدل عليها الكلام اللفظي وقد ثبت في اللغة أن الكلام يطلق على الكلام اللفظي وعلى الكلام النفسي قال سبحانه وتعالى ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣] وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [المجادلة: ٨] وقال عمر ﷺ يوم سقيفة بني ساعدة حيث اختير أبو بكر ر ضي الله عنه للخلافة وقام يتكلم بما شرح الله صدره من الحق فاجتمعت عليه كلمة المسلمين قال عمر ر ضي الله عنه كنت زورت في نفسي كلاماً أي حسنته ولم ينطق به لأنه حين أراد الكلام قال له أبو بكر ر ضي الله عنه على رسلك والله أعلم.

ونحن لا ننسى ما ذكرناه سابقاً أكثر من مرة أن ذات الله تعالى وصفاته ليست كذوات العباد وصفاتهم فعلينا الإيمان بالله تعالى وصفاته مع تنزيهه سبحانه ذاتاً وصفاتٍ عن مشابهة المخلوقين في شيء ولا نتكلف معرفة كنه ذاته تعالى وصفاته وقيامها به سبحانه ونكل ذلك إليه جل جلاله قال سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

Scanned by CamScanner

صفة الكلام لله تعالى كاملة تامة وما يتكلم الخلق من البشر إلى النملة إلا بخلق الله تعالى الكلام فيهم ولو لم يكن الله تعالى متكلماً لكان أخرس عاجزاً ناقصاً والنقص محال على الله تعالى لأنه موصوف بكل كمال والله أعلم.

وسادس صفات المعاني: [السمع] وسمع الله عز وجل صفة وجودية قائمة بذاته تعالى ولا شك ولا ريب أن سمع الله عز وجل منزه عن مشابهة المخلوقات فالله يسمع من غير أصمخة وآذان قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ والدليل العقلي على وجوب صفة السمع لله عز وجل أنه لو لم يتصف الله تعالى بالسمع والسمع صفة كمال لاتصف بضده وهو الصمم والصمم صفة نقص والنقص مستحيل على الله عز وجل والكمال واجب لله عز وجل.

والدليل النقلي قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وسابع صفات المعاني: [الإبصار] وصفة البصر صفة وجودية أزلية قائمة بذات الله عز وجل ولا شك ولا ريب أن بصر الله عز وجل منزه عن مشابهة المخلوقات فالله عز وجل يرى من غير حدقة وأجفان قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

Scanned by CamScanner

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء الله تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق.

والدليل العقلي على وجوب صفة البصر لله عز وجل أنه لو لم يتصف الله تعالى بالبصر والبصر صفة كمال لاتصف بضده وهو العمى والعمى صفة نقص والنقص مستحيل على الله عز وجل والكمال واجب لله عز وجل.

والدليل النقلي على وجوب صفة البصر لله جل وعلا قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

قال الناظم [فهو الإله الفاعل المختار] أي الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

Scanned by CamScanner

٣٧. وواجب تعليق ذي الصفات حتماً دواماً ما عدا الحياة
٣٨. فالعلم جزماً والكلام السامي تعلقا بسائر الأقسام
٣٩. وقدرة أرادة تعلقا بالممكنات كلها أخا التقى
٤٠. واجزم بأن سمعه والبصرا تعلقا بكل موجود يرى
٤١. وكلها قديمة بالذات لأنها ليست بغير الذات
٤٢. ثم الكلام ليس بالحروف وليس بالترتيب كالمألوف

شرح الأبيات من (٣٧-٤٢):

[وواجب عقلاً تعليق ذي الصفات] أي صفات المعاني [حتماً] أي لزوماً [دواماً] أي على سبيل الدوام والاستمرار [ما عدا] صفة [الحياة] فهي لا تتعلق بشيء ومعنى تعلق الصفة اقتضاؤها أمراً زائداً على قيامها بالذات كاقتضاء العلم معلوماً ينكشف به واقتضاء الإرادة مراداً تتخصص به واقتضاء القدرة مقدوراً وهكذا فالقدرة مثلاً صفة قائمة بذات الله عز وجل وتقتضي مقدوراً أي شيئاً تؤثر فيه الوجود أو العدم فهي متعلقة بذلك المقدور وذلك المقدور هو متعلق لها وتعلقها به معناه أنها تقتضيه لتؤثر فيه الوجود أو العدم والصفة التي لا تتعلق هي التي لا تطلب ولا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بموصوفها كصفة الحياة لله عز وجل وهي الصفة الوحيدة التي لا تعلق لها من صفات المعاني السبع فكل صفات المعاني إلا الحياة تقتضي أمراً زائد على قيامها بالذات وهذا

Scanned by CamScanner

الاقتضاء يسمى التعلق فيجب عقلاً تعليق هذه الصفات على سبيل الدوام والاستمرار وهذا مما يجب على كل مكلف اعتقاده.

وصفات المعاني من حيث تعلقها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:-

الأول: ما يتعلق من الصفات بجميع أقسام الحكم العقلي وهو صفتان العلم والكلام وتعلق العلم تعلق انكشاف وتعلق الكلام تعلق دلالة وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله [فالعلم جزماً والكلام السامي تعلقا بسائر الأقسام] أي للحكم العقلي.

الثاني: ما يتعلق بجميع الممكنات وهي القدرة والإرادة وتعلق الإرادة تعلق تخصيص وتعلق القدرة تعلق إيجاد أو إعدام على طبق الإرادة وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله [وقدرة إرادة تعلقا بالممكنات كلها أخا التقى] واعلم أن تعلق القدرة والإرادة والعلم مترتب فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم فلا يوجد شيء إلا إذا أراده ولا يريده إلا إذا علم أنه يكون.

الثالث: ما يتعلق بجميع الموجودات وهما السمع والبصر وهما تتعلقان تعلق انكشاف بكل موجود معلوم وقد علمت أن صفة الحياة لا تتعلق بشيء واعلم أن صفات المعاني كلها قديمة بذاتها فقدمها ذاتي وليست بممكنة في نفسها وإنما قدمها بقدم الذات المقدس فهي ليست عين الذات لأن الصفة غير الموصوف ولا هي غير الذات بمعنى أنها لا تنفك عنها فلا يعقل قيام الذات بدونها.

Scanned by CamScanner

و[كلام] الله عز وجل [ليس بالحروف] والأصوات [وليس] متلبساً [بالترتيب] من تقديم وتأخير كالكلام الحادث [المألوف] لنا تعالى الله عن مشابهة المخلوقات علواً كبيراً.

٤٣. ويستحيل ضد ما تقدما من الصفات الشامخات فاعلما

٤٤. لأنه لو لم يكن موصوفا بها لكان بالسوى معروفا

٤٥. وكل من قام به سواها فهو الذي في الفقر قد تناهى

٤٦. والواحد المعبود لا يفتقر لغيره جل الغني المقتدر

شرح الأبيات من (٤٣ - ٤٦):

معلوم أن اجتماع الحركة والسكون في محل واحد وكذلك اجتماع البياض والسواد في محل واحد من المستحيل حدوثه في العقل فالمستحيل عقلاً هو المعدوم الذي لا يقبل الثبوت أصلاً لذاته والله عز وجل يستحيل عليه أضداد الصفات الكريمة اللائقة بذاته المقدسة فيستحيل عليه العجز لأنه موصوف بالقدرة والعجز والقدرة ضدان لا يجتمعان وهكذا في سائر الصفات إذ كل صفة وجبت لموصوف يستحيل ضدها على ذلك الموصوف فقول الناظم [ويستحيل ضد ما تقدما من الصفات] معناه أن الله عز وجل متصف بثلاث عشرة صفة هي:

Scanned by CamScanner

(الوجود – والقدم – والبقاء – والمخالفة للحوادث – والقيام بالنفس – والوحدانية – والإرادة – و العلم – والحياة – والسمع – والبصر – والكلام النفسي) ويستحيل على الله تعالى أضداد هذه الصفات فيستحيل عليه (العدم – والحدوث – والفناء – والمماثلة للحوادث – وعدم القيام بالنفس – والتعدد – والعجز – والإكراه – والجهل – والموت – والصمم – والعمى – والبكم).

[ولو لم يكن] الله عز وجل متصفاً بكل صفة من صفات الكمال المتقدم ذكرها [لكان بالسوى] أي بسواها من الجهل والعجز وغيرهما من صفات النقص واتصافه تعالى بصفات النقص باطل لما يلزم عليه من الافتقار والحدوث إذ كل من قام به صفة نقص كالجهل والعجز وشبه ذلك فإنه يكون مفتقراً إلى غيره لأن الناقص محتاج إلى من يكمله ومن يحتاج إلى غيره لا يكون إلهاً خالقاً للعالم والله هو [الواحد المعبود لا يفتقر لغيره] أبداً [جل الغني المقتدر] عما يقول الظالمون علواً كبيراً قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد دل الكتاب والسنة على تنزه الله عز وجل عن النقائص وأنها مستحيلات في حق الله عز وجل من ذلك قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني أن الله عز وجل لا يجوز عليه النوم ولا يجوز عليه التعب وهذا هو معنى أنهما مستحيلان وممتنعان عليه. وقال عز وجل ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:

Scanned by CamScanner

٩٢]. دلت الآية الشريفة على أن اتخاذ الولد في حقه تعالى نقص لا يليق به عز وجل والله يتنزه عن كل النقائص فتنزيه الله عز وجل عن الولد هو تنزيه لله عز وجل عن النقص.

ومن هذا المعنى ما رواه مسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال «**قام فينا رسول الله ﷺ بأربع إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار**» فتأمل قول النبي ﷺ «**لا ينبغي له**» فهذه الكلمة معناها يمتنع في حقه تعالى أن ينام أي يستحيل عليه ومن هنا تعلم أن ثمة أموراً تستحيل على الله بمعنى أنه يتنزه عنها لكونها نقائص والنقص لا يليق بجلاله عز وجل فافهم هديت للرشد.

٤٧. وجائز في حقه الإيجاد والترك والإشقاء والإسعاد

شرح البيت رقم (٤٧):

[وجائز في حقه] تعالى أي يجوز عليه أن يوجد الممكنات سواء وجدت بالفعل أو لم توجد ويجوز عليه تعالى أن يترك الإيجاد للمكنات فله عز وجل أن يفعل وأن لا يفعل ويجوز عليه تعالى أن يشقي ويسعد [والإشقاء] هو خلق قدرة الكفر أو خلق الكفر في العبد والعياذ بالله تعالى ويسمى الخذلان والإضلال وقيده الإمام الأشعري رحمه الله تعالى بحالة الموت وأطلقه الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى فالشقي من مات

Scanned by CamScanner

على الكفر والسعيد من مات على الإيمان عند الأشعري رحمه الله تعالى وعند الماتريدي رحمه الله تعالى الشقي هو الكافر والسعيد هو المؤمن.

فتلخص أن الجائز في حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه والدليل العقلي على ذلك هو أن الله عز وجل قد وجب اتصافه بالحياة والقدرة والإرادة والعلم والوحدانية فثبت له الاختيار المطلق في جميع شؤونه ومن يثبت له الاختيار يجوز منه الفعل لكل ممكن والدليل النقلي على ذلك قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وقوله ﷺ «**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**».

٤٨. ومن يقل فعل الصلاح وجبا على الإله قد أساء الأدبا

شرح البيت رقم (٤٨):

[ومن يقل] من المعتزلة [فعل الصلاح] ورعاية الأصلح للعباد [واجب على الإله قد أساء الأدب] مع خالقه لأن الله عز وجل لا يجب عليه شيء فإنه عز وجل كما أخبر عن نفسه في كتابه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

Scanned by CamScanner

٤٩. واجزم أخي برؤية الإله في جنة الخلد بلا تناهي
٥٠. إذ الوقوع جائز بالعقل وقد أتى فيه دليل النقل

شرح البيتين رقمي (٤٩ - ٥٠):

[واجزم] أي اعتقد اعتقاداً جازماً [أخي] في الإسلام [برؤية الإله] سبحانه وتعالى أي بوقوع الرؤية لله عز وجل على الوجه الذي يليق بجلال ربنا بلا إحاطة ولا كيفية [في جنة الخلد بلا تناهي] أي تكون الرؤية في جنة الخلد من غير إحاطة بحدود المرئي ونهايته لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى فكما أنهم يعلمونه بلا حد ولا نهاية فهم يرونه كذلك لا في مكان ولا في جهة ولا باتصال شعاع ولا على مسافة بينه تعالى وبين الرائي لتنزه الله عن مشابهة المخلوقات.

[إذ الوقوع] للرؤية [جائز بالعقل] والدليل العقلي على جواز وقوع الرؤية أن الله عز وجل موجود وكل موجود يجوز أن يُرى.

[وقد أتى فيه] أي في جواز الرؤية [النقل] والدليل النقلي قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣)، ولو كانت الرؤيا ممتنعة ما سألها موسى وهو نبي.

Scanned by CamScanner

وقول الله عز وجل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى هي الجنة جزاء إحسانهم والزيادة هي رؤية الله عز وجل، وقول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢– ٢٣] والأحاديث في الرؤية كثيرة جداً.

٥١. وصف جميع الرسل بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة

٥٢. ويستحيل ضدها عليهم وجائز كالأكل في حقهم

٥٣. إرسالهم تفضل ورحمة للعالمين جل مولي النعمة

شرح الأبيات من (٥١ - ٥٣):

اعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن لله عز وجل أنبياء مرسلين قال عز وجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وعلى المكلف أن يعرف ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز وقد ذكر الناظم ما يجب في حقهم بقوله [وصف جميع الرسل بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة] أي واجب اتصاف الأنبياء والرسل بتلك الصفات الأربع:

Scanned by CamScanner

أولها الأمانة:

وهي هنا موافقة الظاهر للباطن والقول للفعل ذلك لأن الرسل يأمرون الناس بالإيمان بالله تعالىٰ وطاعته فيجب أن يكونوا أسبق الناس إلىٰ ذلك وينهونهم عن الكفر به ومعصيته فيجب أن يكونوا أبعد الناس عن ذلك والدليل النقلي علىٰ ذلك قوله عز وجل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٨] وقوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ثانيها الصدق:

وهو مطابقة الخبر للواقع أي إذا قال النبي قولاً يكون صادقاً فيه ولا يقدر أحد أن يكذبه فيه لأن ما قاله هو حقيقة مؤكدة ويستحيل علىٰ النبي الكذب لأنه لو اشتهر بالكذب ما صدقه أحد فيما يحكيه سواء حكىٰ عن نفسه أو عن الله عز وجل.

والدليل العقلي علىٰ وجوب صدق الرسل أن الله صدقهم بالمعجزات أي أجرىٰ المعجزات علىٰ أيديهم لما طلبوها ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله وذلك لأن تصديق الكذب كذب والكذب علىٰ الله تعالىٰ محال.

والدليل النقلي علىٰ وجوب الصدق للرسل قوله عز وجل ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢] وقوله عز وجل ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

Scanned by CamScanner

ثالثها التبليغ:

وهو إيصال الرسل كل الذي أمرهم الله عز وجل بتبليغه الناس إليهم بغير لبس في المعاني ولا غموض.

والدليل على ذلك قوله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧) وقال عز وجل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ ولأنهم لو لم يبلغوا الناس الشرائع لكانوا كاتمين لها وهذا محال لأنه يلزم على الكتمان خلل عظيم حيث أن كل من قصّر في الشريعة يكون له العذر في أن يحاجَّ الله تعالى ويجادله بدعوى عدم التبليغ وقد نفى الله ذلك كما علمته من الآية السابقة.

رابعها الفطانة:

وهي الذكاء أو حدة الذكاء والتيقظ والدليل على ذلك أنه لو انتفت عنهم الفطانة لما قدروا أن يقيموا حجة على الخصم وهو محال لأن القرآن دل في مواضع كثيرة على إقامتهم الحجة على الخصم منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] وقوله سبحانه وتعالى ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأيضاً لأنا مأمورون بالاقتداء والمقتدى به لا يكون بليداً.

Scanned by CamScanner

وهذا ما يجب للرسل تفصيلاً ويجب لهم على سبيل الإجمال كل كمال بشري كالوفاء والإخلاص والمروءة والشجاعة وسلامة أجسادهم من العاهات وخلو أفعالهم عما ينفر الناس عنهم.

[ويستحيل] في حقهم ضد الصفات السابقة فيستحيل عليهم تفصيلاً [الخيانة – الكذب – الكتمان – البلادة] ويستحيل عليهم إجمالاً كل نقص بشري يخل برسالتهم أو يؤدي إلى نفرة الناس عنهم كالظلم ونقض العهد والغدر والجبن والعيوب الجسدية المنفرة .

وجائز في حق الرسل الأعراض البشرية بغير نقص في مراتبهم العلية كخفيف المرض ونحوه كالأكل والشرب والجماع، أما الأعراض التي تؤدي إلى نقص مراتبهم الشريفة فلا تجوز عليهم مثل المرض المنفر طبعاً كالجنون والجذام وسوء الخلق وخسة الأصل ونحو ذلك.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن إرسال الله عز وجل للرسل هو تفضل منه وإحسان ورحمة للعالمين وليس بواجب عليه تعالى لأن الله عز وجل فاعل مختار لذاته والمختار لذاته لا يجب عليه شيء قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

Scanned by CamScanner

السمعيات

٥٤. ويلزم الإيمان بالحساب والحشر والعقاب والثواب
٥٥. والنشر والصراط والميزان والحوض والنيران والجنان
٥٦. والجن والأملاك ثم الأنبيا والحور والولدان ثم الأوليا
٥٧. وكل ما جاء من البشير من كل حكم صار كالضروري

شرح الأبيات (٥٤ - ٥٧):

[ويلزم] المكلف [الإيمان بالحساب] وهو توقيف الله عز وجل عباده في المحشر على أعمالهم فعلاً وقولاً واعتقاداً تفصيلاً والحساب منه اليسير ومنه العسير وأدلته في القرآن كثيرة قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣ – ١٤] وقال عز وجل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:٧ – ٩].

Scanned by CamScanner

ويجب الإيمان بالحشر:

أي حشر الأجساد وهو سوقها إلى المحشر بعد بعثهم من قبورهم قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾(ق: ٤٤) وأول من تنشق عنه الأرض ويرد المحشر ويدخل الجنة هو سيدنا ومولانا محمد ﷺ.

ويجب الإيمان بالعقاب: على الذنوب والكفر.

ويجب الإيمان بالثواب: وهو الجزاء على الأعمال الصالحة بالجنة في الآخرة قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

ويجب الإيمان بالبعث والنشر: فالبعث: هو إحياء الله الموتى. والنشر: هو إخراجهم من القبور من بعد بعثهم قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

ويجب الإيمان بالصراط:

وهو جسر ممدود على متن جهنم بين الموقف والجنة قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦] قال تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١] وقال ﷺ «**يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان**

Scanned by CamScanner

غير أنه لا يعلم ما قدر عظمتها إلا الله عز وجل تخطف الناس على حسب أعمالهم» رواه مسلم.

ويجب الإيمان بالميزان:

الذي توزن فيه أعمال العباد قال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] وقال عز وجل ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨ – ٩].

ويجب الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ:

قال الإمام الطحاوي رحمه الله «والحوض الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى به غياثاً لأمته حق» وفي صحيح مسلم عن أنس قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال «**أنزلت عليّ آنفاً سورة فقرأ**: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:١ – ٣] ثم قال: **أتدرون ما الكوثر؟** قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عز وجل عليه خيرٌ كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول: إنه من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك»**.

Scanned by CamScanner

ويجب الإيمان بالنيران:

وهي دار العقاب قال سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] أعدها الله للكافرين خالدين فيها أبداً قال سبحانه وتعالى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢] ولمن شاء من العصاة من المؤمنين لمدة أرادها الله تعالى لهم ثم يخرجون منها وذلك بمحض عدله أجارنا الله ووالدينا وأحبابنا من النار آمين.

ويجب الإيمان بالجنة:

وهي دار الثواب قال سبحانه وتعالى ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦٣] أعدها الله للمؤمنين من عباده خالدين فيها أبداً بمحض فضله وعظيم منّه وواسع جوده وكرمه فيها ما تشتهيه الأنفس فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر قال سبحانه وتعالى ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، اللهم اجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهلها آمين.

Scanned by CamScanner

ويجب الإيمان بوجود الجن:

قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

ويجب الإيمان بوجود الملائكة إجمالاً ويجب معرفة عشرة منهم تفصيلاً هم: [جبريل – وميكائيل – وإسرافيل – وملك الموت – ومنكر – ونكير – ورقيب – وعتيد – ومالك – ورضوان].

والملائكة معصومون وهم عباد مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ويجب الإيمان بوجود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويجب الإيمان بالحور العين: وهنّ نساء الجنة قال تعالى ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢].

ويجب الإيمان بالولدان: وهم غلمان الجنة قال تعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧].

Scanned by CamScanner

ويجب الإيمان بوجود الأولياء: والولي: هو القائم بحقوق الله تعالىٰ وحقوق العباد بحسب الإمكان قال تعالىٰ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وقال عز وجل ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

ويجب الإيمان بكل ما جاء عن النبي ﷺ من حكم صار في الاشتهار بين الخاصة والعامة كالأمر الضروري الذي لا يخفىٰ علىٰ أحد كالإسراء والمعراج والشفاعة وعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين في القبر وحياة الشهداء وحياة الأنبياء في البرزخ وعلامات الساعة كخروج الدجال ونزول عيسىٰ بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وتكلم الدابة وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة والله أعلم.

Scanned by CamScanner

٥٨. وينطوي في كلمة الإسلام ما قد مضى من سائر الأحكام
٥٩. فأكثرن من ذكرها بالأدب ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب

شرح البيتين رقمي (٥٨ - ٥٩):

[ينطوي] أي يندرج [في كلمة الإسلام] أي الدالة على الإسلام وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله يندرج في هذه الكلمة الطيبة [ما قد مضى] ذكره [من سائر] أي جميع [الأحكام] الإلهيات والنبوات والسمعيات[فأكثرن] نون التوكيد الخفيفة [من ذكرها] أي كلمة الإسلام [بالأدب] أي مع مراعاة الأدب الذي ينبغي أن يتحلى به الذاكر في ذكره من الإخلاص والطهارة واستقبال القبلة وتدبر المعنى وحضور القلب [ترقى بهذا الذكر] الشريف [أعلى الرتب] في الدنيا والآخرة.

٦٠. وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تناء

شرح البيت رقم (٦٠):

لا بد للعبيد من الخوف والرجاء لأنهما كجناحي الطائر ويُغَلِّبُ الصحيح الخوف على الرجاء لأنه كالسوط ينساق به إلى الاعتناء بالعبادة وبه تزول الرعونات النفسية عن القلب ويُغَلِبُ المريضُ الرجاء على الخوف لأنه حال القدوم على الكريم والطمع في رحمة الله محمود [وسر] سيراً حثيثاً [لمولاك] وسيدك وخالقك [بلا تناء] أي بلا تباعد عن

Scanned by CamScanner

الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى ومعنى السير إلى الله تعلق القلب بالله مع مخالفة النفس في شهواتها إيثاراً له تعالى على غيره.

٦١. وجدد التوبة للأوزار لا تيأسنْ من رحمة الغفار

شرح البيت رقم (٦١):

[وجدد] أيها المكلف وجوباً [التوبة] أي الرجوع إلى الله تعالى [للأوزار] أي من أجل ارتكابك الأوزار قال تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] وشرط التوبة الندم والإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة والرد للمظالم إن وجدت، وعلى العبد أن [لا ييأس] أي يقنط من رحمة الغفار قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

Scanned by CamScanner

٦٢. وكن على آلائه شكوراً وكن على بلائه صبوراً
٦٣. وكل أمر بالقضاء والقدر وكل مقدور فما عنه مفر
٦٤. فكن له مسلّما كي تسلما واتبع سبيل الناسكين العلما

شرح الأبيات رقم (٦٢ - ٦٣ - ٦٤):

[وكن] أيها المكلف [على آلائه] أي نعمه تعالى التي أنعمها عليك: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] كن لهذه النعم [شكورا] أي كثير الشكر لله لتفوز بالزيادة قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال تعالى ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] [وكن] أيها المكلف [على بلائه] أي ابتلاء الله لك بصنوف البلاء من مرض وضيق عيش وفقد مال وعيال وأذية أحد وغير ذلك [كن على] كل ذلك [صبوراً] أي كثير الصبر فإنه تعالى يحب عبده الصبور قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال عز وجل ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] وإنما طلب منك الصبر لأن [كل] ما برز في الكائنات فهو [بالقضاء] أي سببه وهو عند الأشاعرة: إرادة الله المتعلقة أزلاً بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوز عليها أي على طبق علمه وبسبب [القدر] – بفتح الدال – وهو عند الأشاعرة رحمهم الله تعالى إيجاد الله تعالى الأمور على طبق إرادته. وقال الماتريدية رحمهم الله تعالى القضاء

Scanned by CamScanner

علم الله المتعلق أزلاً بوجود الأشياء والقدر إيجاد الأمور على طبقه و[كل مقدور] قدره الله تعالى [فما عنه مفر] أي لابد من وقوعه على طبق ما أراد وعلم ولا محيص عنه فيجب إذن الصبر والتسليم لما قدره العليم الحكيم والرضا بما كتبه اللطيف الخبير [فكن] أيها الطالب لرضا ربه ومولاه [له] أي لله عز وجل [مسلّماً] في كل ما قدره وقضاه وكل ما شرعه بأن ترضى بذلك كله قائلاً: «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا» من غير إعراض ولا اعتراض [كي] أي لأجل أن [تسلما] من آفات الدنيا والآخرة [واتبع] أيها الصادق في طاعة الله اتبع في سيرك إلى الله [سبيل] أي طريق [الناسكين] أي العابدين [العلما] المحققين المتحققين المخلصين الربانيين العارفين بأحكام الدين العاملين بسنة سيد المرسلين والمراد بهم السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان وسبيلهم منحصر في اعتقاد صحيح وعلم وعمل على طبق العلم وهم أهل السنة والجماعة وهم في الاعتقاد الأشاعرة والماتريدية رحمهم الله تعالى وفي الفروع المذاهب الأربعة وفي التربية والسلوك الصوفية الصافية والصفوة المخلصة الصادقة فالزم طريقهم تفز برضى رب العالمين فالناجي من كان في عقيدته على طريقة أهل السنة وقلد في الأحكام العملية الفرعية إماماً من الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى ثم سلك طريق الصوفية الصافية ﷺ أجمعين.

Scanned by CamScanner

٦٥. وخلص القلب من الأغيار بالجد والقيام في الأسحار
٦٦. والفكر والذكر على الدوام مجتنبا لسائر الآثام
٦٧. مراقباً لله في الأحوال لترتقى معالم الكمال

شرح البيت رقم (٦٥ - ٦٦ - ٧٦):

[وخلص] أيها المريد الصادق [القلب من الأغيار] أي مما سوىٰ الله عز وجل من زوجة وولد وجاه ومال وعلم وعمل وغيرها من الشواغل حتىٰ لا يتعلق قلبك إلا بالله عز وجل وحده لا شريك له ويحصل ذلك:-

١ـ [بالجد] أي بسبب الجد والمراد به الاجتهاد قال تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩] والمجاهدة تكون بمخالفة النفس في هواها مع الخوف من الله تعالىٰ بعد التوبة قال تعالىٰ ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠ – ٤١].

٢ـ [بالقيام في الأسحار] قال تعالىٰ ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ * وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ – ١٨] وقال عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٤] وقال تعالىٰ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] فكن من أهل الليل ولا تكن من الغافلين.

٣ـ [الفكر والذكر] وهما عبادتان عظيمتان فعليك أيها المريد

Scanned by CamScanner

الصادق بالتفكر في آلاء الله ونعمه فقد أثنى الله على المتفكرين فقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال عز وجل ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣] وقال عز وجل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

وعليك أيها المريد الصادق بالذكر والمداومة عليه لأنه أعظم أركان الطريق ومن لازمه فاز بمنشور الولاية وقد حث الله عز وجل عليه في كتابه فقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤١ – ٤٢] وقال عز وجل ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال عز وجل ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] وقال عز وجل ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥] وقال عز وجل ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥] وكن أيها المريد مع ذلك كله [مجتنباً لسائر] أي لجميع [الآثام] كبائرها وصغائرها ظاهرها وباطنها [مراقباً لله] عز وجل [في] جميع [الأحوال لترتقي معالم الكمال] فتصبح من أهل الله الصادقين الفائزين بمقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

Scanned by CamScanner

٦٨. وقل بذل رب لا تقطعني عنك بقاطع ولا تحرمني
٦٩. من سرك الأبهى المزيل للعمى واختم بخير يا رحيم الرحما
٧٠. والحمد لله على التمام وأفضل الصلاة والسلام
٧١. على النبي الهاشمي الخاتم وآله وصحبه الأكارم

شرح الأبيات من (٦٨- ٧١):

[وقل] أيها الطالب المخلص قل [بذل] ومسكنة متضرعاً إلى ربك وسيدك ومولاك وولي نعمتك قل خاشعاً [رب لا تقطعني عنك بقاطع] يشغلني عنك ويحجبني عن الأنس بك ويمنعني تذوق حلاوة الطاعة والعبادة [و] قل بذل [يا رب لا تحرمني] من إعطاء [سرك] والمراد به النور الإلهي الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل في نفس الأمر المشار إليه بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً في قلوبكم تميزون به بين الحق والباطل على ما هو عليه في نفس الأمر ووصف الناظم السر [بالأبهى] أي الأنور [المزيل للعمى] أي المزيل للجهل وقل بذل يا رب [اختم] لنا أعمالنا وأحوالنا وأعمارنا [بخير] حتى نخرج من الدنيا على أكمل الحالات التي ترضاها [يا رحيم الرحما] يا الله يا كريم الكرما يا الله فإنه لا رب لنا سواك ولا راحم لنا غيرك وقد وقفنا ببابك ولذنا بجنابك ونزلنا بساحة كرمك وأنت الرحمن الرحيم الذي لا يخيب قاصدك ولا يحرم طالبك ولا يهلك

Scanned by CamScanner

من احتمى بحماك حقق رجاءنا يا الله بذمة الإسلام وحرمة القرآن وجاه سيد الأنام وآله وصحبه الكرام عليهم الصلاة والسلام آمين.

[والحمد لله على التمام] حمداً يليق بجلاله وكرمه [وأفضل الصلاة والسلام على النبي الهاشمي الخاتم] للرسل والأنبياء سيدنا ومولانا محمد [وآله وصحبه الأكارم] ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

Scanned by CamScanner